رمضان ووقفة قبل فوات الأوان

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٥٧٣ السنة الثامنة والأربعون - رمضان ١٤٤٠ هـ

الثمن ٣ جنيهات

مسابقة فضيلة الشيخ صفوت نور الدين رحمه الله

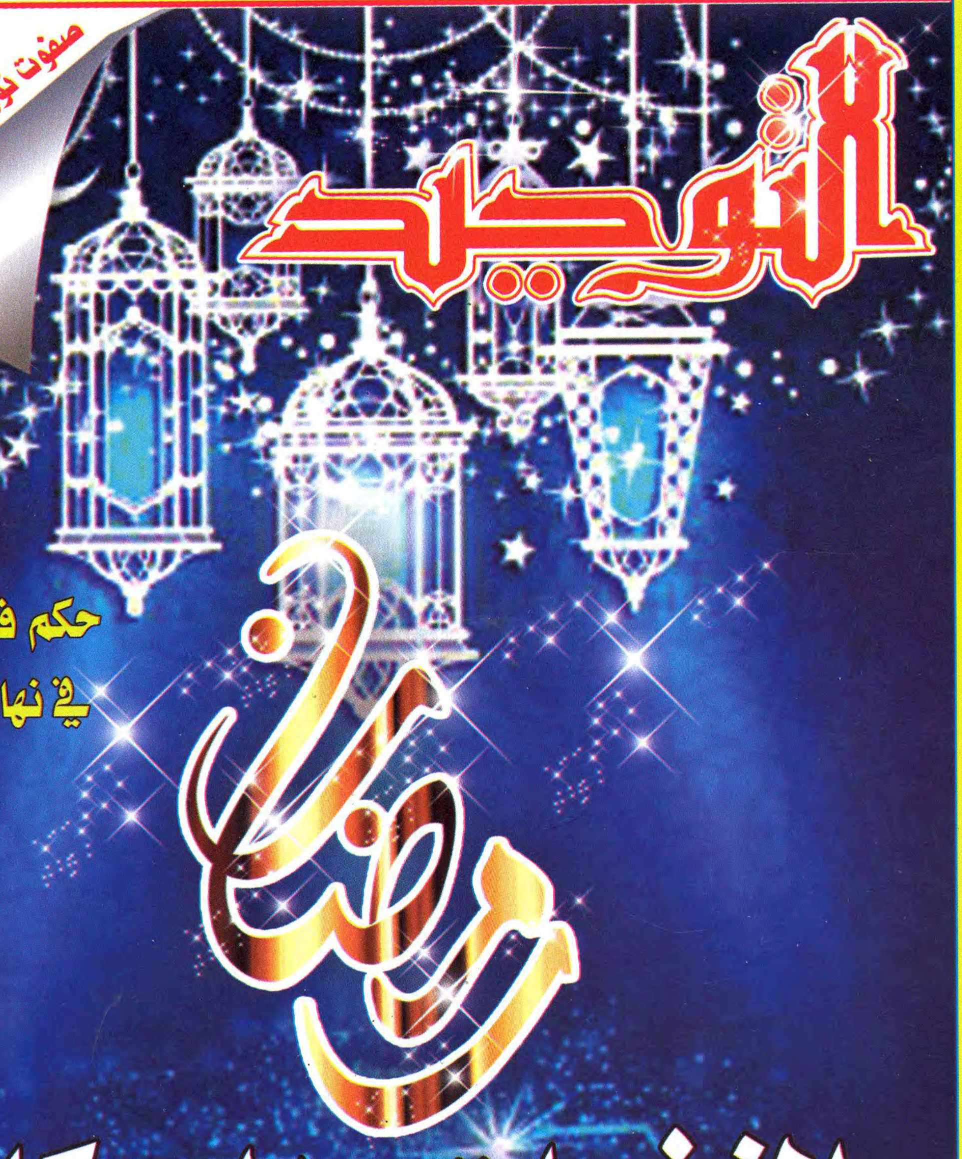

حكم فتح المطعم في نهار رمضان

النفحات والبركات

- صفة وتر النبي صلى الله عليه وسلم
- ليلة القدر نور على الكون أضاء
- رمضان شهر التضحيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

السلام عليكم

الحمد لله وكفى، والصلاة على نبيه المصطفى، وبعدُ:

فإننا ننتهز قدوم هذا الشهر المبارك لنهنئ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بحلول شهر رمضان، أعاده الله علينا وعليكم باليمن والخير والبركات.

وبعد فنظرًا لارتفاع أسعار الطباعة؛ نعتذر إليكم لاضطرارنا لرفع سعر نسخة مجلة التوحيد ابتداءً من شهر شوال ١٤٤٠هـ إلى خمسة جنيهات، وذلك لمرور المجلة بظروف صعبة بعد رفع أسعار الطباعة عدة مرات خلال العامين الماضيين.

وقد حاولنا الإبقاء على سعر المجلة كما هو، ولكن لم نستطع الالتزام بذلك، فكان لا بد من رفع سعر المجلة الحالي؛ حتى نستطيع تغطية تكلفة إصدار المجلة، والتي تكبَّدت طوال العامين الماضيين خسائر كبيرة مع قلة الإمكانيات المادية المتاحة.

نسأل الله لنا ولكم التيسير، ونرجو تعاونكم معنا لاستمرار صدور مجلتكم الغراء.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، ووفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه.

رئيس التحرير

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام

WWW.ANSARALSONNA.COM

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: التيسير والتخفيف في شريعة الصيام:
د. عبد الله شاكر ٢
كلمة التحرير: رمضان ووقفة قبل فوات الأوان:
رئيس التحرير ٥
فضائل رمضان: مصطفى البصراتي ٨
رمضان شهر القرآن: د. عبد العظيم بدوي ١٠
باب الفتاوى ١٣
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
هدي النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان:
د. أحمد منصور سبالك ٢٠
درر البحار: علي حشيش ٢١
رمضان شهر التضحيات: د. عزة محمد رشاد ٢٣
رمضان النفحات والبركات: د. علي عبد الرحمن الحذيفي ٢٦
صفة وتر الرسول صلى الله عليه وسلم: د. حمدي طه ٢٩
ليلة القدر نور على الكون أضاء: معاوية محمد هيكل ٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
الترجيح في عدد ركعات صلاة التراويح: د. متولي البراجيلي ٣٨
التربية في رمضان: د. عماد عيسى ٤١
بدء الوحي في رمضان: د. سعيد صوابي ٤٤
أحكام السفر: المستشار أحمد السيد علي ٤٧
باب الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
رمضان وثبة وانطلاقة: د. ياسر لمعي ٥٧
من نفحات الإيمان في شهر الغفران:
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٦١
بركة السحور: أحمد عز الدين ٦٥
تاريخ مشروعية الصيام: محمد عبد العزيز ٦٧
للصائم دعوة لا تُرد: عبده أحمد الأقرع ٧٠

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم ١٩١٥٩٠/

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

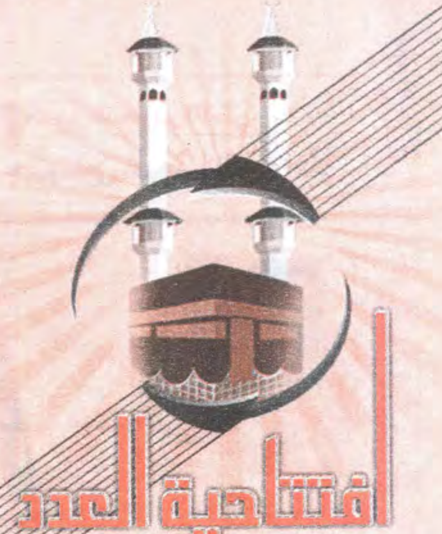

التيسير والتخفيف في شريعة الصيام

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله الذي وسع كل شيء برحمته، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فإن لشهر رمضان منزلة عالية ومكانة سامية عند عموم المسلمين، وكثير منهم ينتظر قدومه ويفرح بهلاله، بل جاء عن السلف أنهم كانوا يدعون الله تبارك وتعالى أن يبلغهم رمضان؛ لما في الصيام من لذة الطاعة وصفاء النفوس.

وقد يرى البعض أن في الصيام مشقة على النفس وحرمانًا لها مما تحب، وهذا فَهْم قاصر يتنافى مع أحكام الإسلام وتشريعاته، ولذلك سأبيِّن لهؤلاء رحمة الله بعباده في تشريع الصيام، وقبل بيان شيء من ذلك نؤكد على أن الله تبارك وتعالى في أحكامه وتشريعاته لم يكلِّف عباده عنتًا، أو يوقع عليهم حرجًا، بل جعل التيسير والتخفيف قرين تلك الأحكام، وهذه حقيقة نطق بها القرآن، قال الله تعالى: «وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (الحج:٧٨)، وفي سياق الآيات المتحدثة عن فرضية الصيام يشير القرآن إلى شيء من ذلك، قال الله تعالى: «يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (البقرة:١٨٥)، والتكليف في الإسلام عمومًا مرتبط بالاستطاعة، قال الله تعالى: « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ » (البقرة:٢٨٦)، ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «إن الأدلة على رفع الحرج عن هذه الأمة بلغت مبلغ القطع». (الموافقات ٢٧٩/١).

وبعد تقرير هذه الحقيقة أبيِّن هنا بعض أوجه التخفيف والتيسير في شريعة الصيام، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: التدرج في تشريع الصيام:

يعد التدرج في تشريع الأحكام من السمات البارزة في الإسلام، وقد وقع هذا في الصيام؛

حيث كان فرضه في السنة الثانية من الهجرة بعد أن تمكّن الإيمان في النفوس، يقول ابن القيم-رحمه الله-: «لما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها، تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة، لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة، وألفت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالتدريج، وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات، وفُرِضَ أولاً على وجه التخيير بينه وبين أن يطعم عن كل يوم مسكينًا، ثم نُقِلَ من ذلك التخيير إلى تحتُّم الصوم». (زاد المعاد ٢/ ٢٦).

ثانيًا: مدة الصيام ووقته:

من رحمة الله تعالى بعباده أن جعل الصيام في أيام محدودة كما قال تعالى: «أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ» (البقرة:١٨٤)، وهي أيام شهر رمضان، وقد وصفت بأنها معدودة، وفي هذا تهوين على المكلفين، إذ لم يجعله شهورًا، وإنما شهر واحد على مدار العام، كما حدد القرآن الكريم الزمن الذي يصومه الصائم، فقال في ابتداء وقت الصوم: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» (البقرة:١٨٧)، وقد بينت الآية أن ابتداء الصيام يكون بطلوع الفجر وانتهاؤه بإقبال الليل، قال القاسمي رحمه الله: «أباح تعالى الأكل والشرب-مع ما تقدم من إباحة الجماع- في أي الليل شاء الصائم إلى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل». (تفسير القاسمي ٣/ ٤٥٥).

وفي البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم». (البخاري: ١٩٥٤).

قال النووي رحمه الله في شرحه: «معناه: انقضى صومه وتم، ولا يوصف الآن بأنه صائم، فإن بغروب الشمس خرج النهار ودخل الليل، والليل ليس محلاً للصوم، وقوله صلى الله عليه وسلم: «أقبل الليل وأدبر النهار وغربت الشمس» قال العلماء: كل واحد من هذه الثلاثة يتضمن الآخَرَيْن ويلازمهما، وإنما جمع بينها؛ لأنه قد يكون في وادٍ ونحوه بحيث لا يشاهد غروب الشمس فيعتمد إقبال الظلام وإدبار الضياء، والله أعلم». (شرح النووي على مسلم: ٧/ ٢٠٩).

ثالثًا: النهي عن الوصال في الصوم:

ومعنى الوصال عند جمهور الفقهاء: أن يصوم يومين فأكثر لا فِطْر بينهما. (انظر: الموسوعة الفقهية ٤٣/ ١٦٠).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يواصل، ولكنه نهى عنه أصحابه، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله. قال: وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقين». فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يومًا، ثم رأوا الهلال، فقال: «لو تأخر لزدتكم، كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا»، (البخاري: ١٩٦٥).

وبناءً على هذا الحديث كره جمهور العلماء الوصال في الصوم. قال ابن قدامة: «وهو مكروه في قول أكثر أهل العلم». (المغني ٣/ ١٧١).

وقال النووي: «اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على أن الوصال من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو مكروه في حقنا». (المجموع ٦/ ٣٥٨).

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين». هو ما يغذيه الله به من معارفه، وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقُرَّة عينه بقربه، ونعمه بحبّه، والشوق إليه، وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب. (انظر: زاد المعاد لابن القيم ٢/ ٢٧).

وقال ابن حجر: «قال الجمهور: قوله: «يطعمني ويسقين» مجاز عن لازم الطعام والشراب، فكأنه قال: يعطيني قوة الآكل

والشارب، ويفيض عليَّ ما يسد مدَّ الطعام والشراب ويقوي على أنواع الطاعة من غير ضعف في القوة ولا كلال في الإحساس». (فتح الباري ٤/٢٠٨).

وفي نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال مظهر من مظاهر رحمة الله بعباده في تشريع الصيام، وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله بابًا فيه: «باب الوصال، ومن قال: ليس في الليل صيام؛ لقوله عز وجل: «ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» (البقرة:١٨٧)، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه رحمة لهم وإبقاءً عليهم، وما يكره من التعمق». ثم ساق حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمةً لهم». (انظر: فتح الباري ٤/٢٠٢).

رابعًا: إسقاط القضاء عمن أكل أو شرب ناسيًا:

من رحمة الله في تشريع الصيام أنه لم يطلب ممن نسي فأكل أو شرب القضاء، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا نسي فأكل وشرب فليُتِمَّ صومه؛ فإنما أطعمه الله وسقاه». (البخاري: ١٩٢٣).

قال ابن حجر: «وفي الحديث لطف الله بعباده والتيسير عليهم ورفع المشقة والحرج عنهم». (فتح الباري ٤/١٥٧).

وقال ابن القيم: «وكان من هديه صلى الله عليه وسلم إسقاط القضاء عمن أكل وشرب ناسيًا، وأن الله سبحانه هو الذي أطعمه وسقاه» (زاد المعاد ٢/٥٠).

خامسًا: مراعاة ظروف المكلفين:

من مظاهر رحمة الله تعالى في تشريع الصيام التخفيف عن أصحاب الأعذار حتى لا يشق عليهم، وأصحاب الأعذار أنواع، وهم كالتالي:

أولاً: المريض والمسافر:

فالمريض الذي يتضرر بالصيام، والمسافر الذي له القصر لهما الإفطار وعليهما القضاء؛ لقول الله تعالى: «فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» (البقرة:١٨٥).

قال ابن كثير رحمه الله: «المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر؛ لما في ذلك من المشقة عليهما، بل يفطران ويقضيان من أيام أُخَر». (تفسير ابن كثير ١/٣٠٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فرأى زحامًا ورجلاً قد ظُلِّل عليه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: صائم، فقال: ليس من البر الصوم في السفر». (البخاري: ١٩٤٦).

وهذا فيمن يجد مشقة في الصيام وهو مسافر، أما من أطاقه ولم يشقّ عليه وصام؛ فصومه صحيح، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «وكنا نسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم». (البخاري: ١٤٧).

ثانيًا: الحامل والمرضع:

يجوز للحامل والمرضع أن تفطرا؛ وذلك لأن الحامل قد يشق عليها الصوم من أجل الحمل، لا سيما في الأشهر الأخيرة، وقد يؤثر على نمو الحمل، وكذلك المرضع إذا صامت يقل لبنها، ولهذا كان من رحمة الله أن رخص لهما في الفطر. (انظر: الشرح الممتع ٦/٣٥٩).

ثالثًا: الحائض والنفساء:

يجب عليهما الفطر وتقضيان الصيام؛ لقول عائشة رضي الله عنها: «كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة». (مسلم: ٣٣٥).

رابعًا: العاجز عن الصيام لكبر أو مرض لا يرجى برؤه، فهؤلاء لهما الفطر، وعليهما أن يطعما عن كل يوم مسكينًا، قال الله تعالى: «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ» (البقرة:١٨٤).

ومما سبق يظهر بوضوح التيسير والتخفيف في شريعة الصيام. والحمد لله رب العالمين.

رمضان ووقفة قبل فوات الأوان

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله الذي خلق فسوى، وامتن علينا برمضان، وبعدُ:

فما أقصر لحظات العمر، وما أسرع جريان الأيام، ما أشبه الليلة بالبارحة، لقد مر بنا رمضان الماضي منذ أمدٍ قريب، وإذا بنا نستقبل الشهر الكريم مرة أخرى، فكم من نفوس تمنتْ، وكم من قلوب حَنَّتْ أن تُدْرِك معنا شهر رمضان، لكن الله يَقْضِي في العباد ما يشاء ويختار.

والصورة من حولنا في أنحاء العالم العربي والإسلامي تبدو جلية واضحةً بما يُحاك بنا، كلما ظهر ضوء الاستقرار وخمود الفتن في قُطر من الأقطار، فسرعان ما تظهر وتنتشر وتشتعل في بلد آخر تنفيذًا لحساب وتقسيمات تفرضها القوى المتصارعة على نهب تلك البلدان وتقسيمها وتفتيتها وإشعال النزاعات عبر المعارك والحروب والقلاقل والفتن في العمق الاستراتيجي المصري، سواء كان في ليبيا، أو السودان أو الجزائر، وفي سوريا بجيوش أصحاب النفوذ، ولا أحد يدرك ماذا سيتبقى من الوطن السوري بعد أن سيطروا على أنحاء البلاد، وعقدوا الاتفاقيات، وقسموا المناطق، والعراق الذي مازال يلملم جراحاته، مع ضغوطات أصحاب النفوذ من المنطقة وخارجها، في محاولة لإبعاد العراق عن محيطه العربي والإسلامي السُنيّ..

تلك الصور القائمة ونحن على أعتاب هذا الشهر الفضيل تجعلنا نقف أفرادًا وجماعات، ودولاً وكيانات مع أنفسنا وقفة مراجعة للنفس، ومراجعة لما يدبر لنا لكي لا ننهض من كبوتنا، ولكن الله غالبٌ على أمره وهو أحكم الحاكمين، وهو سبحانه ناصرٌ دينه.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

حريٌّ بالمسلمين أن يقفوا مع أنفسهم وقفة مراجعة مع قدوم هذا الشهر الكريم، فالأخطار تداهمنا من كل فج عميق، وعالمنا العربي والإسلامي يقف موقف المتفرج على ما يحدث، وبعض الدول تساعد في التقسيم وإشعال الفتن وتُستخدم كأداة تنفيذ لأصحاب النفوذ من الدول التي تطلُّ من جديد في صورة المستعمر المتبجح وتوزيع الغنائم والهبات. نسأل الله سبحانه أن يَتَغَمَّدَنا برحمته.

ولابد أن يقف كل مسلم مع نفسه وقفة مراجعة وتجرد وانكسار أمام عظمة المولى منتهزًا فرصة إدراكه لهذا الشهر الفضيل.

وإذا كنا في مجال المحاسبة والمراجعة فحريٌّ بنا أن نتأمل قول المولى عز وجل القائل: «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ» (الزلزلة:٦-٨). والمحاسبة انطلاقًا من قوله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ» (آل عمران:٣٠).

والمحاسبة تأتي من الإيمان باليوم الآخر، وأن الله يحاسب فيه الخلائق، وقد حذرنا الله من ذلك اليوم، فقال سبحانه وتعالى: «وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (البقرة:٢٨١).

وقدوم الشهر الكريم يجعلنا نوقن أن محاسبة النفس طريقة المؤمنين، وسمة الموحدين، وعنوان الخاشعين، فالمؤمن عبدٌ لربه محاسب لنفسه مستغفر لذنبه يعلم أن النفس خطرها عظيم، وداؤها وخيم، ومكرها كبير وشرها مستطير، فهي أمَّارة بالسوء ميالة إلى الهوى داعية إلى الجهل، قائدة إلى الهلاك، توَّاقة إلى اللهو، إلاَّ من رحم الله، فلا تُترك لهواها لأنها داعية إلى الطغيان، من أطاعها قادته إلى القبائح ودعته إلى الرذائل، وخاضت به المكاره، وغوائلها عجيبة، ونزعاتها مخيفة وشرورها كثيرة، فمن ترك سلطان النفس حتى طغى فإن له يوم القيامة مأوى من جحيم، «فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ» (النازعات:٣٧-٣٩).

ونحن نستقبل شهرًا كريمًا لا بد لنا فيه من وقفة محاسبةٍ مع النفس، فمن طبائع البشر المستهجنة أن النفس

> حريٌّ بالمسلمين أن يقفوا مع أنفسهم وقفة مراجعة مع قدوم هذا الشهر الكريم، فالأخطار تداهمنا من كل فجّ عميق، وعالمنا العربي والإسلامي يقف موقف المتفرج على ما يحدث!

تتلذذ وتسترسل في الخوض فيما لا يفيد، وتضييع الوقت فيما لا ينفع، بل ما أسرعها في تتبع العورات، والاشتغال بالعثرات، والانصراف إلى النقد غير البناء، ولو تأملت وتفحصت لرأيت وأدركت أنه لا يهتم بالصغائر إلاَّ الصغار، ولا يُفتش عن المساوئ إلاَّ البطَّالون.

والاشتغال بما لا يغني يورثُ قِلَّة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وقسوة القلب، ومَحْق بركةَ العُمر، «وربكم قد كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال».

والاشتغال بما لا يغني هروب عن المسئولية وأمارات عجز وكسل، وضعف الصلة بالله، وغفلة عن سننه وجَهْلٌ بالمصالح، و«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويَده، والمهاجر من هجر ما حرم الله»، و«كفى بالمرء إثمًا أن يُحدِّث بكل ما سمع».

فمن شاء أن يتطلب صلاح نفسه وسلامة صدره ونجاحه في وقفته الجادة مع نفسه ومراجعتها فليشتغل بعيب نفسه، وليبكِ على خطيئتهِ، فتجنب عيوب الناس يورث نور القلب، وراحة البال، وصفاء الضمير، وسلامة الطوية.

إن المسلم لا بد أن يحاسب نفسه على أقواله وأفعاله، في سفره وحضره، يحاسبها على العمل سواء كان الأمر يتعلق بالدين أو الدنيا، أو كان يتعلق به في خاصته، أو يتعلق بغيره من إخوانه، فإن ذلك هو أسلم الطرق للنجاة من النار ومن شدة المحاسبة في الآخرة.

وعلى المسلم أن يتصفح في ليله ما صدر من أفعاله في نهاره، فإن كان محمودًا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذمومًا استدركه ما أمكن، وإن لم يمكن استتبعه بالحسنات لتكفيرها، وينتهي عن مثلها.

وفي هذا الشهر العظيم فرصة للمسلم لكي يتأمل في محاسبة الأخيار وكيف كان الواحد منهم يحاسب نفسه على أنفاسه، وكيف وصلت بهم الخشية والخوف من الله إلى أن يفارق الواحد منهم الحياة فرقًا من عذاب الله.

ولتدرك جيدًا أن أعداء الإسلام لن يبقوا على أحد، وأنهم يضربون الأمة بعضها ببعض، ولا يظن هذا الذي سكتوا عنه أو سكت عنهم، أو أمدوه ببعض المدد أن الأعداء سيتركونه، إنهم يوقدون النار والفتن بين أهل الإسلام، ويحرّضون بعضهم على بعض من أجل تحقيق مصالحهم بإيقاع الفرقة بين الأمة التي تقطعت أوصالها وهانت على نفسها.

فاللهم ردنا إلى الحق ردًّا جميلاً، واجعل رمضان شهر خير وبركة وهداية للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ومُنَّ على جميع أوطان المسلمين بالأمن والاستقرار يا رب العالمين.

اللهم تقبل منا ومنكم صالح الأعمال، واحفظ مصرنا من كيد الكائدين، ومكر الماكرين،

والحمد لله رب العالمين.

فضائل رمضان

إعداد مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعدُ: فلله تعالى في خلقه فاضل ومفضول، وهو يخلق ما يشاء ويختار؛ فقد فضَّل بعض الرسل على بعض، وجعل الناس بعضهم فوق بعض درجات، وكرَّم بني آدم وسخَّر لهم كثيرًا من خلقه وفضَّل ربنا سبحانه وتعالى بعض الأوقات على بعض فميَّز يوم الجمعة على سائر الأسبوع، وفضَّل ليلة القدر على سائر الليالي، وكذا فضَّل شهر رمضان على سائر الشهور، ففيه الكثير من الفضل والعظيم من الأجر؛ ففيه ليلة هي خير من ألف شهر، وفيه عبادة الصوم التي هي من أعظم القربات إلى الله عز وجل يضاعف الله ثوابه بغير حصر فهو شهر الصبر، وقال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر:١٠).

ولهذا الشهر جملة من الفضائل التي ينبغي للمسلم العلم بها ليهيئ نفسه ويعزم بقلبه على العمل بها واغتنام ثوابها فلا يخرج من هذا الشهر إلا وقد غفر الله له ذنوبه وأجمل ثوابه.

فمن فضائل هذا الشهر العظيم ما يلي:

١- أن الصيام أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يقوم الإسلام إلا بها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان) رواه البخاري ومسلم.

٢- إن رمضان مكفّر لما بينه وبين رمضان الآخر من الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتُنبت الكبائر) رواه البخاري ومسلم.

٣- الصوم سبب لتكفير الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: (فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة) رواه البخاري ومسلم.

٤- الصوم جُنَّة ووقاية من النار؛ فعن جابر رضي الله قال: قال صلى الله عليه وسلم: (الصوم جُنَّة يستجنّ بها العبد من النار) رواه أحمد وحسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب.

٥- إضافته لله تعالى تشريفًا لقدره وتعريفًا بعظيم فخره، فعن أبي هريرة رضي الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به؛ يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب

من ريح المسك) متفق عليه.

وهذا الحديث يدل على عظيم فضل الصيام من وجوه عديدة:

الأول: اختصاص الله عز وجل الصوم له، وذلك تشريف للصيام ومزية خاصة له دون سائر الأعمال، وسبب ذلك أنه سِرّ بين العبد وربه لا يطّلع عليه أحد فلو أراد أن يفطر دون أن يعلم به أحد من الخلق لاستطاع، ولكنه لا يفعل ذلك خوفًا من الله الذي يطلع عليه ويعلم سره وعلانيته ورغبة في ثوابه على الصيام فيكون الصيام أقرب إلى الإخلاص من سائر الأعمال؛ ولذا قال الله في الحديث القدسي المتقدم: (يدع شهوته وطعامه من أجلي) فكأنه تعليل لما سبقه؛ أي الصيام لي، لأنه ترك طعامه وشهوته من أجلي.

الثاني: أن الأعمال تضاعف بأعداد معلومة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإن الله تعالى قال: (وأنا أجزي به)؛ فليس للجزاء به عدد معين والكريم الجواد يعطي على قدر كرمه وجوده. فهذا يدل على أن جزاءه بغير تحديد ولا حساب والله تعالى أكرم الأكرمين وأجود الأجودين.

الرابع: أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وخلوف فم الصائم تغيُّر رائحته بسبب الصيام لخلو المعدة من الطعام والشراب؛ فهذا التغير لما كان ناشئًا من طاعة الله عز وجل كان جزاؤه أن جعله عنده أطيب من ريح المسك، كما صح أن الشهيد يأتي يوم القيامة وريح دمه كريح المسك كما صح أن الشهيد يأتي يوم القيامة وريح دمه كريح المسك، وإن كان ذلك أمرًا مكروهًا عند الناس.

الخامس: أن للصائم فرحتين؛ فرحة عند فطره بتمام صومه، وإكمال هذه العبادة العظيمة، وهذا من أعظم نعم الله عليه، وكذلك يفرح بتناول ما أباح الله له من الطعام والشراب والنكاح الذي منع منه وقت الصيام وهذا من فضل الله تعالى عليه.

وفرحة عند لقاء ربه بما يجد من ثواب الصوم الذي لا حدَّ له ولا حصر بعدد معين-كما تقدم- ويجده مدخرًا له أحوج ما يكون إليه، (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) (الشعراء: ٨٨-٨٩).

السادس: أن شهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس وبينات من الهدي والفرقان)(البقرة ١٨٥)، وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر. ويشهد لذلك قوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر)، وقوله (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) (الدخان ٣).

السابع: أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه؛ جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام؛ فمن جمع بين الجهادين ووفَّى بحقوقهما وصبر عليهما وُفِّيَ أجره بغير حساب. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص٣١٩).

الثامن: من فضائل الصوم ما جاء في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم. يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد" وزاد النسائي وابن خزيمة "من دخل شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا".

هذه بعض فضائل الصيام الذي فرضه الله في هذا الشهر الكريم، فاحمدوا الله على نعمة بلوغ هذا الشهر واشكروه بالجد والاجتهاد، وعمارة أوقاته بأنواع الطاعات من الصيام والقيام والذكر والدعاء وتلاوة القرآن والعمرة إلى البيت الحرام.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رَمَضَانُ شَهْرُ الْقُرْآنِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، «كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» (هود: ١).

وَلَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَقَالَ: «ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ» (العنكبوت: ٤٥)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا» (الكهف: ٢٧)؛ فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ قُرْبَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرَبِ، وَعِبَادَةٌ مِنْ أَجَلِّ الْعِبَادَاتِ، يُعْطِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهَا مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى غَيْرِهَا.

وَقَدْ سَمَّى اللهُ تَعَالَى تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ التِّجَارَةَ الرَّابِحَةَ

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

فَقَالَ: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ» (فاطر: ٢٩- ٣٠)؛ وَأَيُّ تِجَارَةٍ أَرْبَحُ مِنْ أَنْ يَكْسِبَ الْجُنَيْهُ عَشْرًا، إِنَّ قَارِئَ الْقُرْآنِ يُعْطَى بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» (صحيح الترمذي: ٢٩١٠).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عز وجل خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ» (صحيح مسلم ٨٠٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، يَقُولُ لِصَاحِبِهِ هَلْ تَعْرِفُنِي؟ أَنَا الَّذِي كُنْتُ أُسْهِرُ لَيْلَكَ، وَأُظْمِئُ هَوَاجِرَكَ، وَإِنَّ

كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِه، وَأَنَا لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تَاجِرٍ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِه، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِه، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِه تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا تَقُومُ بِهِمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَيَقُولَانِ: يَا رَبِّ أَنَّى هَذَانِ؟ فَيُقَالُ بِتَعَلُّمِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ» (صحيح النسائي:٢٨٢٩).

وَلَقَدْ كَثُرَتِ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتَّرْغِيبِ فِيهَا:

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِه، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»، أَيِ السَّحَرَةُ. (صحيح مسلم ٨٠٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّه فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً». (صحيح الترمذي: ٢٩١٥).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ». (صحيح النسائي:٥٥٥)

آدابُ التِّلاوة:

وَلِلْقِرَاءَةِ آدَابٌ، يُسْتَحَبُّ لِلْقَارِئِ أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِهَا لِيَعْظُمَ أَجْرُهُ وَيَزْدَادَ ثَوَابُهُ:

أَوَّلًا: آدابٌ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ:

فَأَوَّلُ ذَلِكَ: يَجِبُ عَلَى الْقَارِئِ الْإِخْلَاصُ وَمُرَاعَاةُ الْأَدَبِ مَعَ الْقُرْآنِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْضِرَ فِي نَفْسِه أَنَّهُ يُنَاجِي اللهَ تَعَالَى، وَيَقْرَأُ عَلَى حَالِ مَنْ يَرَى اللهَ تَعَالَى، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَرَاهُ.

وَيَنْبَغِي إِذَا أَرَادَ الْقِرَاءَةَ أَنْ يُنَظِّفَ فَاهُ بِالسِّوَاكِ وَغَيْرِه.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ وَهُوَ عَلَى طَهَارَةٍ، فَإِنْ قَرَأَ مُحْدِثًا جَازَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ فِي مَكَانٍ نَظِيفٍ مُخْتَارٍ، وَلِهَذَا اسْتَحَبَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْقِرَاءَةَ فِي الْمَسْجِدِ، لِكَوْنِه جَامِعًا لِلنَّظَافَةِ وَشَرَفِ الْبُقْعَةِ.

وَيُسْتَحَبُّ لِلْقَارِئِ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ.

(التبيان في آداب حملة القرآن. للإمام النووي).

ثَانِيًا: آدابٌ عِنْدَ الشُّرُوعِ فِي الْقِرَاءَةِ:

فَإِنْ أَرَادَ الشُّرُوعَ فِي الْقِرَاءَةِ اسْتَعَاذَ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (الإسراء: ٩٨).

وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ مُسْتَحَبَّةٌ لَيْسَتْ بِمُتَحَتِّمَةٍ يَأْثَمُ تَارِكُهَا(تفسير ابن كثير ١/٢٩).

ثَالِثًا: آدابٌ أَثْنَاءَ الْقِرَاءَةِ:

فَإِذَا شَرَعَ فِي الْقِرَاءَةِ فَلْيَكُنْ شَأْنُهُ الْخُشُوعَ وَالتَّدَبُّرَ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ، وَالدَّلَائِلُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وَأَشْهَرُ وَأَظْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْمَطْلُوبُ، وَبِه تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ، وَتَسْتَنِيرُ الْقُلُوبُ، قَالَ اللهُ عز وجل: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (النساء: ٨٢)، وَقَالَ تَعَالَى: «كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ» (ص: ٢٩)، وَالْأَحَادِيثُ فِيهِ كَثِيرَةٌ، وَأَقَاوِيلُ السَّلَفِ فِيهِ مَشْهُورَةٌ، وَقَدْ بَاتَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَتْلُونَ آيَةً وَاحِدَةً يَتَدَبَّرُونَهَا وَيُرَدِّدُونَهَا إِلَى الصَّبَاحِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُرَتِّلَ قِرَاءَتَهُ، وَقَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَلَى اسْتِحْبَابِ التَّرْتِيلِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: «وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» (المزمل: ٤)، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ: كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالَ: كَانَتْ

مَدًّا. ثُمَّ قَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَمُدُّ بِبِسْمِ اللهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ. (صحيح البخاري: ٥٠٤٦).

وَقَدْ نُهِيَ عَنِ الإِفْرَاطِ فِي الإِسْرَاعِ، وَيُسَمَّى الْهَذْرَمَةَ، فَثَبَتَ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ نَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ إِلَى عَبْدِ اللهِ فَقَالَ: إِنِّي لأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ! إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ. (صحيح البخاري: ٥٠٤٣).

فَعَلَى الْقَارِئِ أَنْ يَهْتَمَّ بِالتَّرْتِيلِ، وَأَنْ يَتَأَنَّى فِي الْقِرَاءَةِ، لِيَتَدَبَّرَ وَيَعِيَ وَيَفْهَمَ عَنِ اللهِ مُرَادَهُ، وَمَتَى وَجَدَ قَلْبَهُ فِي آيَةٍ فَلاَ مَانِعَ مِنْ أَنْ يَقِفَ عِنْدَهَا وَيُرَدِّدَهَا، فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُسْرِعَ فِي الْقِرَاءَةِ، وَأَنْ يَكُونَ هَمُّهُ كَثْرَةَ الْمَقْرُوءِ لاَ تَدَبُّرَهُ.

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ تَنْزِيهٍ للهِ تَعَالَى نَزَّهَ، فَقَدْ صَحَّ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ. ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ».

فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى». فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. (صحيح مسلم: ٧٧٢).

وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَأَمَّلَ آيَاتِ الْوَعِيدِ وَيُكَرِّرَهَا وَيَقِفَ عِنْدَهَا لِيُثِيرَ فِي قَلْبِهِ الْخَوْفَ وَالْحُزْنَ، وَيُثِيرَ فِي عَيْنِهِ الْبُكَاءَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّينَ، وَهُوَ شِعَارُ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، قَالَ تَعَالَى: «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا» (مريم: ٥٨)، وَقَالَ تَعَالَى: «قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا» (الإسراء: ١٠٧-١٠٩).

وَيُسْتَحَبُّ الإِكْثَارُ مِنَ التِّلاَوَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ لأَنَّهُ شَهْرُ الْقُرْآنِ، وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى جِبْرِيلَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ. (صحيح البخاري: ٤٩٩٨).

وَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنْ يَكُونَ اعْتِنَاؤُهُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي اللَّيْلِ أَكْثَرَ، لأَمْرِ اللهِ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» (المزمل: ١-٤).

وَلَقَدِ اسْتَجَابَ صلى الله عليه وسلم لأَمْرِ رَبِّهِ، فَكَانَ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي صَلاَةِ اللَّيْلِ: عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ». (صحيح مسلم ٧٧٢).

وَحَثَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى كَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلاَةِ اللَّيْلِ فَقَالَ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ» (صحيح أبي داود: ١٢٤٦)، وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «أَفْضَلُ الصَّلاَةِ طُولُ الْقُنُوتِ» (صحيح مسلم ٧٥٦).

وَالْمُرَادُ بِالْقُنُوتِ الْقِيَامُ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ! مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ». (صحيح الترغيب ٩٨٤).

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن، والحمد لله رب العالمين.

فتاوى

من فتاوى الأزهر

جواز الفطر للضعيف المريض

السؤال: بالطلب المقدم من السيدة (ك م م) المتضمن أنها سيدة ضعيفة ومريضة، ولكنها متمسكة بدينها، وإذا صامت فقدت الوعي، ولا تشعر إلا بالماء الذي يُسكب عليها لإعادة وعيها، وطلبت السائلة الإفادة عما إذا كان يجوز لها الفطر شرعًا، وما هي الكفارة التي تفدي بها الصيام إن كان يجوز لها الفطر؟

الجواب: إنه يجب الصوم على المكلف القادر عليه رجلاً، أو امرأة دون ضرر يلحقه، أو مشقة ترهقه، وقد أباح الشارع للمريض الذي يخاف الضرر على نفسه بزيادة المرض، أو تأخر البرء أن يفطر ويقضي عدة ما أفطره من أيام أُخَر، والمراد بخوف الضرر الذي يبيح الفطر هو تيقنه أو غلبة ظنه، وذلك بالتجربة الشخصية أو إخبار الطبيب الأمين الذي لا يُعرَف بالتهاون الديني.

أما الخوف الناشئ عن مجرد الوهم أو التمثيل فلا يبيح الفطر، فإذا كانت السائلة قد تيقنت أو غلب على ظنها بالتجربة الشخصية أو إخبار الطبيب الأمين أن الصوم يزيد مرضها أو يضرها؛ جاز لها الفطر شرعًا على أن تقضي ما فاتها صومه بعد الصحة، وإذا كان الطبيب قد أخبرها أن مرضها سيستمر طوال حياتها جاز لها

أن تفدي بإطعام مسكين عن كل يوم من الأيام التي تفطرها، وتأخذ حكم الشيخ الفاني الذي لا يستطيع الصيام، فإذا برئت من مرضها، وقدرت على الصيام وجب عليها القضاء، ولا اعتبار للفدية التي تكون قد أخرجتها قبل ذلك؛ لأنه يُشترط لجواز الخلف وهو الفدية دوام العجز عن الصيام، أما إذا كان الصوم لا يزيد من مرضها، ولا يؤخر برأها وهي تستطيع الصوم بلا جهد ولا مشقة؛ فلا يباح لها الفطر، والله أعلم. (المفتي الشيخ: حسن مأمون).

الصيام عن الميت

السؤال: توفي والدي، وعرفنا أنه أفطر شهر رمضان في بعض السنوات ولم يقض ما فاته، فماذا نفعل، هل نصوم عنه أو نخرج فدية؟

الجواب: روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه"، وصح عندهما أيضًا أن امرأة قالت: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صيام نذر، أفأصوم عنها؟ فقال: "أرأيت لو كان على أمك دَيْن فقضيته أكان يؤدي ذلك عنها"؟ قالت: نعم، قال: "فصومي عن أمك".

هذان الحديثان حجة قوية للذين يرون من الفقهاء أن من مات وعليه صيام، سواء أكان صيام رمضان أم صيام نذر، يصوم عنه وليه، والولي هو كل قريب، سواء أكان وارثًا أم غير وارث، وقيل: يجوز أن يصوم عنه غير وليه من الأصدقاء مثلاً، كالدَّين لا يختص بسداده القريب.

وذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي في القول الجديد إلى أن الميت لا يُصام عنه مطلقًا، متمسكين بقول ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه النسائي بإسناد صحيح: "لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد". وبقول عائشة رضي الله عنها: "لا تصوموا عن موتاكم، وأطعموا عنهم"، وقد أخرجه عبد الرزاق في مصنفه. لكن هذين الأثرين لا يعارضان ما هو أقوى منهما، وهو رواية البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ولي الميت يصوم عنه.

وقال عبد الحق في أحكامه: لا يصح في الإطعام شيء، يعني مرفوعًا، وكذا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ومن أراد توضيحًا أكثر فليرجع إلى " نيل الأوطار للشوكاني ج٤ ص ٢٤٨ - ٢٥١". (المفتي الشيخ: عطية صقر).

حكم فتح المطعم في نهار رمضان

س: حكم من كان عنده مطعمًا لتناول الطعام في نهار رمضان؟

- الذى يملك مطعما يتناول فيه الناس غذاءهم، أو مقهى تتناول فيه المشروبات، فإن كان ذلك التناول في نهار رمضان، وتأكد أن متناوله مفطر لا عذر له في الإفطار كانت مساعدته على ذلك محرمة، وإذا كانت معرفة المعذور وغير المعذور متعسرة في المجتمع الكبير الذى يجمع أخلاطًا متنوعة قد تنتحل فيه الأعذار فالأفضل عدم القيام بهذا العمل نهارًا، وفى ممارسة نشاطه ليلاً متسع له دون حرج.

ذلك أن تيسير تناول الطعام والشراب في هذه الأماكن في نهار رمضان فيه إغراء بالفطر وفيه تشويه لسمعة المجتمع الإسلامي الذي يجب أن يراعى حرمة هذا الشهر الكريم، والمتقون لربهم يستعدون قبل رمضان بما يغنيهم عن العمل فيه من أجل العيش، ليتفرغوا للعبادة أو لمزاولة عمل آخر، والليل كله مجال واسع للعيش الكريم. إن الأمر يحتاج إلى مراقبة الضمير، وإلى يقظة المسؤولين وتعاون الجميع على مقاومة المنكر والتمكين للخير والمعروف، وبخاصة في هذا الشهر المبارك العظيم)

(المفتى الشيخ عطية صقر).

فتاوى

فتاوى اللجنة الدائمة

س: حكم صيام أصحاب الأعمال الشاقة والطالب في الامتحانات؟

- شخص يعمل في عمل شاق ويواجه إرهاقًا في العمل: (لا يجوز لذلك الرجل أن يفطر بل الواجب عليه الصيام، وعليه أن يعمل حسب استطاعته (إلا أن يكون مضطرا لذلك والضرورة تقدر بقدرها) (فتاوى اللجنة الدائمة ـ فتوى: ١٣٤٨٩).

- والامتحان المدرسي ونحوه لا يعتبر عذرًا مبيحًا للإفطار في نهار رمضان، ولا يجوز طاعة الوالدين في الإفطار للامتحان؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإنما الطاعة بالمعروف، كما جاء بذلك الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم) (فتاوى اللجنة الدائمة- فتوى:٩٦٠١).

س: حكم صيام الحامل إذا نزل منها دم؟

- (الحامل لا يضرها ما نزل منها من دم أو صفرة، لأنه ليس بحيض ولا نفاس، إلا إذا كان عند الولادة أو قبلها بيوم أو يومين مع الطلق، فإنه إذا نزل منها دم في هذه الحال صار نفاساً، وكذلك في أوائل الحمل فإن بعض النساء لا تتأثر عادتهن في أول الحمل فتستمر على طبيعتها وعادتها، فهذه يكون دمها دم حيض.) (مجموع فتاوى ابن عثيمين).

س: ما هي الأحكام العامة للمعتكف؟

- يشرع الاعتكاف في مسجد تقام فيه صلاة الجماعة، وإن كان المعتكف ممن تجب عليهم الجمعة ويتخلل مدة اعتكافه جمعة فالاعتكاف في مسجد تقام فيه الجمعة أفضل، ولا يلزم له الصوم، وثبت عن عائشة أنها قالت: "السنة على المعتكف ألا يعود مريضًا، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة، ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه" (فتاوى اللجنة الدائمة ـ فتوى: ٦٧١٨).

ما لا يفطر الصائم في مجال التداوي

قرار رقم (٩٣) لمجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي:

قرر ما يلي:

أولاً: الأمور الآتية لا تعتبر من المفطرات:

١- قطرة العين، أو قطرة الأذن، أو غسول الأذن، أو قطرة الأنف، أو بخاخ الأنف، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٢- الأقراص العلاجية التي توضع تحت اللسان لعلاج الذبحة الصدرية وغيرها إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٣- ما يدخل المهبل من تحاميل (لبوس)، أو غسول، أو منظار مهبلي، أو إصبع للفحص الطبي.

٤- إدخال المنظار أو اللولب ونحوهما إلى الرحم.

٥- ما يدخل الإحليل أي مجرى

البول الظاهر للذكر والأنثى، من قسطرة (أنبوب دقيق) أو منظار، أو مادة ظليلة على الأشعة، أو دواء، أو محلول لغسل المثانة.

٦- حفر السن، أو قلع الضرس، أو تنظيف الأسنان، أو السواك وفرشاة الأسنان، إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٧- المضمضة، والغرغرة، وبخاخ العلاج الموضعي للفم إذا اجتنب ابتلاع ما نفذ إلى الحلق.

٨- الحقن العلاجية الجلدية أو العضلية أو الوريدية، باستثناء السوائل والحقن المغذية.

٩- غاز الأكسجين.

١٠- غازات التخدير (البنج) ما لم يعطَ المريض سوائل (محاليل) مغذية.

١١- ما يدخل الجسم امتصاصًا من الجلد كالدهانات والمراهم واللصقات العلاجية الجلدية المحملة بالمواد الدوائية أو الكيميائية.

١٢- إدخال قسطرة (أنبوب دقيق) في الشرايين لتصوير أو علاج أوعية القلب أو غيره من الأعضاء.

١٣- إدخال منظار من خلال جدار البطن لفحص الأحشاء أو إجراء عملية جراحية عليها.

١٤- أخذ عينات من الكبد أو غيره من الأعضاء ما لم تكن مصحوبة بإعطاء محاليل.

١٥- منظار المعدة إذا لم يصاحبه إدخال سوائل (محاليل) أو مواد أخرى.

١٦- دخول أي أداة أو مواد علاجية إلى الدماغ أو النخاع الشوكي.

١٧- القيء غير المتعمد بخلاف المتعمد (الاستقاءة).

ثانياً: ينبغي للطبيب المسلم نصح المريض بتأجيل ما لا يضر تأجيله إلى ما بعد الإفطار من صور المعالجات المذكورة فيما سبق.

- وسئل الشيخ ابن عثيمين والشيخ ابن جبرين (رحمهما الله)

س: ما حكم خروج المعتكف من معتكفه؟

- خروج المعتكف من معتكفه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يكون خروجًا لما ينافي الاعتكاف، كمن خرج ليبيع ويشتري وما أشبه ذلك، فهذا الخروج مبطل للاعتكاف.

القسم الثاني من خروج المعتكف: أن يخرج لأمر لا بد له منه وهو أمر مستمر، كالخروج لقضاء حاجة لا تقضى إلا بخروجه فلا شيء فيه.

القسم الثالث: ما لا ينافي الاعتكاف، ولكنه له منه بد، مثل الخروج لتشييع جنازة، أو ما أشبه ذلك مما هو طاعة، ولكنه له منه بد، فهذا يقول أهل العلم: إن اشترطه في ابتداء اعتكافه فإنه يفعله، وإن لم يشترطه، فإنه لا يفعله، فهذا هو ما يتعلَّق بخروج المعتكف من المسجد. والله أعلم). (مجموع فتاوى ابن عثيمين)

س: حكم من نذر أن يعتكف في أي مسجد؟

- من نذر أن يعتكف في أي مسجد غير المساجد الثلاثة جاز له أن يوفي باعتكافه في أي مسجد آخر؛ لأن البقاع كلها سواء، إلا إذا عين المفضول جاز في الفاضل؛ دليل ذلك أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: « إني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في مسجد بيت المقدس قال: صل هاهنا. قال: إني نذرت أن أصلي في ذلك المسجد. قال: صل هاهنا، فلما رآه مُصرًا قال: شأنك إذًا». (رواه أبو داود والحاكم وصححه). (ابن جبرين - فتاوى الصيام).

س: متى يخرج المعتكف من اعتكافه؟

- يخرج المعتكف من اعتكافه إذا انتهى رمضان، وينتهي رمضان بغروب الشمس ليلة العيد، والعشر الأواخر تبتدئ بغروب الشمس ليلة العشرين من رمضان. (مجموع فتاوى ابن عثيمين).

باب السنة

بهجة القرآن

بقلم

د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد حاولت وعلى منهج مجلتنا الغراء أن أوظف باب السنة لخدمة الشهر الفضيل وكيفية الاستفادة منه، ولما كان القرآن عَلَمًا على شهرنا بعد الصيام، وقد أفاض فيه دعاة المسلمين عامة وامتلأت به مجلتنا خاصة-وهي بذلك جديرة- فقلت تتميمًا لجهدهم وتبشيرًا بثمرة وعظهم، وأن الناس سيُقبلون على كتاب الله زرافات ووحدانًا كما هو المشهور في رمضان، فقلت أشفع هذه الاستجابة المباركة متممًا بدعوة منقية لها مما قد يلحق ببهائها من غبش، فكان حديثنا الشريف الذي بين أيدينا، والذي رواه عن نبينا صلى الله عليه وسلم محذرًا من الفتن صاحبه حذيفة رضي الله عنه:

قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْه، وَكَانَ رِدْئًا لِلْإِسْلَامِ، غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِه، وَسَعَى عَلَى جَارِه بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّه، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ، الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي؟ قَالَ: بَلِ الرَّامِي».

تخريج الحديث والحكم عليه:

لما كان الحديث في غير الصحيحين احتجنا للحكم عليه، ولما قد حكم عليه أحد من كبار علماء الحديث اكتفينا بنقل بحثه مختصرًا بغير إخلال ولا تطويل لذلك نقول: (حسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة في المجلد السابع وقال: أخرجه البخاري في «التاريخ «(٤/٣٠١/٠٧ ٢٩)، وأبو يعلى في «مسنده الكبير» كما في «تفسير ابن كثير» (٢/٢٦٥) و«المطالب العالية» (٤/٢٧٣/٤٤٢٣)-، ومن طريق أبي يعلى: ابن حبان في «صحيحه « (١/١٤٨/٨١)، والبزار في مسنده « (١/٩٩/١٧٥) من طرق عن محمد بن بكر عن الصلت (بن بهرام)، حدثنا الحسن، حدثنا جندب البجلي في هذا المسجد أن حذيفة حدثه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:... فذكره. وقال ابن كثير: هذا إسناد جيد،

والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين، ولم يُرْمَ بشيء إلا الإرجاء، وقد وثقه أحمد وابن معين وغيرهما». اهـ.

وأقول: لا شك أن الصلت بن بهرام ثقة، ولكن هل هو راوي هذا الحديث عن الحسن- وهو البصري-؟! هذا فيه نظر.... ثم بحث الشيخ الألباني رحمه الله الفرق بين راويين هما (الصلت) ابن مهران والصلت بن بهرام.... ثم قال الألباني رحمه الله: وعليه «فالصلت هنا اثنان: ابن بهرام، وقد وثقه جماعة كما تقدم، وابن مهران، وهو غير مشهور.. ثم قال رحمه الله: وسواء كان هذا أو ذاك، فالحديث حسن إن شاء الله تعالى.

قلت: وللحديث شواهد كثيرة صحيحة منها ما رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠)- واللفظ له- عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ».

الشرح:

هذا حديث عظيم القدر إذ إنه يصف لنا حالاً من أشد الأحوال هو حال رجل قرأ القرآن ورأى الناسُ عليه نوره وأثره، وكان عونًا للإسلام وأهله ومدافعًا عنهم، ثم إذا به يغير ذلك ويفارق الإسلام ويترك القرآن ويقتل جاره ويتهمه بالشرك، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم: من أحق بالشرك، هذا الرجل الذي قتل جاره واتهمه بالشرك أم الجار؟ فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل الذي اتهم جاره بالشرك هو أحق بما اتهم به جاره.

مما يستفاد من الحديث:

أولاً: الحديث دليل من دلائل النبوة:

فيه إخبار منه صلى الله عليه وسلم بما هو كائن وحدث ما أخبر به الصادق المصدوق وقد سبق في علم الله سبحانه أن سيكون في هذه الأمة من سيكفر المسلمين ويسفك دماءهم، وينتهك حرماتهم بغير سلطان من الشرع، فصدق رسول الله فيما بلغ عن ربه وهو باب من أوسع أبواب زيادة الإيمان.

ثانيا: الخوف من سوء الخاتمة والدعاء بالثبات:

فمثل هذا الرجل الذي تخوفه علينا النبي صلى الله عليه وسلم كان من شأنه أنه قرأ القرآن أي: حفظ حروفه وأتقن قراءتها، بل وكان رِدْءًا ناصرًا للإسلام ومع ذلك فقد حدث له ما حدث من انتكاسة وصلت إلى انسلاخه من الإسلام سواء بالكلية كفرًا أو انسلاخًا من صحيح تعاليمه، فقضى على نفسه بما رمى به المسلمين، وعليه-ونحن في هذا الشهر الفضيل- وقد اجتهد الناس فيه إقبالاً على كتاب ربهم وأنعم الله عليهم بأنواع الطاعات وإغلاق باب المخالفات ننصح أنفسنا وإياهم ألا يأمنوا بعد هذا الخير على أنفسهم، إمامهم في هذا سيد المتقين فيما رواه عنه أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».

> لا تُعجب بإيمانك، وعملك، وصلاتك، وصومك، وجميع قُرَبك، فإن ذلك وإن كان من كسبك، فإنه من خلق ربك وفضله عليك، فمهما افتخرت بذلك، كنت كالمفتخر بمتاع غيره.

والأحاديث والآثار في ذلك وافرة فلتراجع من باب التذكرة ومنه في كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي رحمه الله يقول: يقول الإمام القرطبي رحمه الله في كتابه (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص٣٤) قال: «لا تُعجَب بإيمانك، وعملك، وصلاتك، وصومك، وجميع قُرَبِك، فإن ذلك وإن كان من كسبِك، فإنه من خَلْق ربك وفَضْله عليك، فمهما افتخرتَ بذلك، كنتَ كالمفتخِر بمتاع غيره، وربما

سُلِب عنك، فعاد قلبُك من الخير أخلى من جوفِ البعير، فكم من روضة أمست وزهرُها يانع عَميم، فأصبحت وزهرها يابس هَشيم؛ إذ هبَّت عليها الريحُ العَقيم، كذلك العبد يُمسي وقلبُه بطاعة الله مُشرق سليم، فيُصبح وهو بمعصيته مُظلم سقيم، ذلك فعلُ العزيز الحكيم، الخلاَّق العليم»؛ اهـ. (وينظر كذلك البدور السافرة في أحوال الآخرة للإمام السيوطي رحمه الله ص٣٨).

ثالثا: التحذير من فتنة التكفير:

فلا يخفى على قارئه ما في الحديث من هذه الفائدة وقد تصدرت هذه الفائدة تبويب كثير من أهل العلم على الحديث فهي من أظهر ما يستفاد منه، وهذه الفتنة جرم يقع فيه صاحبه غالبًا لأمرين:

الأول: جهل وسببه قلة علم ابتداء أو فهم خاطئ لما تعلم، ومرد ذلك أن الطالب ينفرد بنفسه يعلمها فينعزل على كتبه يقرأها دون وعي ولا بصيرة، والله أمرنا بالرجوع إلى أهل الذكر أو يلجأ إلى مثله يعلمه خطأ، وقد خالف بهذا أمر الله للمؤمنين حين قال جل شأنه:

(وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (سورة النحل: ٤٣).

وبهذا الجهل لا نستغرب من هؤلاء فهمهم حين كان مرجعهم في تعليمهم وتفهيمهم غير المتخصصين من أمثالهم فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا؛ فخربوا وقتلوا وهدموا.

والسبب الثاني: الهوى وهذا من أخطر الصفات، فصفاتهم قريبة من صفات المنافقين إذ هم على علم بما يقولون لكنهم في دين الله يبتدعون وعلى الله يتقولون، وعلى حسب مصالحهم ومذاهبهم يتلونون، عنوانهم شهواتهم من أجلها يعادون إخوانهم ويؤاخون من أجلها أعداءهم، ولا أقول ذلك في المسائل الخلافية التي تحتمل الاجتهاد، ولكن في المسائل المحسومة التي لا تقبل إلا التسليم والانقياد، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

فوجدنا من جراء ذلك بلوى تكفير المسلمين بغير حق، وما ترتب عليه من استحلال للدماء والأموال، بل ولا أبالغ إن قلت: واستباحة الأعراض فكل ذلك مما يخافه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته عامة وقارئ القرآن خاصة.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فهناك فئة جديدة ضلت فخرجت على أمة الإسلام بنوع جديد من أنواع التعدي لا أقول كسابقتها خرجت بتكفير وتخريب، لكن أقول خرجت على علماء الأمة وعوامها بتفسيق وتبديع والتاريخ شاهد على أمثالهم فكانوا معول هدم أينما وجدوا ولا تزال دعوات المصلحين تصرخ تنادي بتطهير الأمة من أمثال هؤلاء إذ لا تزال أفكارهم سببًا في إرهاب العباد وخراب البلاد.

> "إن من أخطر الطوائف على أمة الإسلام أصحاب الهوى إذ هم على علم بما يقولون، وعلى الله يتقولون، وعلى حسب مصالحهم ومذاهبهم يتلونون."

رابعًا: والحديث دعوة للعلم والفهم، لذا وضعه ابن حبان رحمه الله في كتاب العلم فليس أخطر على الأمة من جاهل يضللهم.

خامسا: إن من توفيق الله للعبد انشغاله بنفسه وبما كلفه الله به والله عز وجل لم يجعل قضاء الحكم على عباده في أيدي عوامهم بل كلف بذلك شرعًا خواصهم من العلماء، لذا فليس من التوفيق أن يكلف الإنسان نفسه بما لم يكلفه به ربه لا سيما في مثل هذه الأبواب الخطيرة ثم هو يقصر في تكليف الله له جزمًا، ويعين الإنسان على كل ما سبق الدعاء في هذه الأيام المباركات، وفي هذا القدر كفاية.

والحمد لله رب العالمين.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان

إعداد أ.د/ أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فمن المعلوم أن حال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر الكريم المبارك يختلف عن حاله صلى الله عليه وسلم في غيره من الشهور؛ فقد كان حاله في هذا الشهر حالاً خاصًا، أفضل وصف لهذه الحال: كان مليئًا بالطاعات والقربات؛ وذلك لعلم النبي صلى الله عليه وسلم بخصوصية هذا الشهر وهذه الأيام المباركة التي باركها الله تعالى وميَّزها عن سائر أشهر وأيام العام.

هذا مع أنه غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر صلى الله عليه وسلم، لكنه عودنا حبيبنا- صلوات الله وسلامه عليه- أنه أشد الأمة اجتهادًا في عبادة ربه وقيامه بحقه عليه، ولتعلم أمته من خلفه أنها أولى بهذا في اتباعه والتأسي به في هذه الأعمال بهذا الشهر المبارك.

وهذا السبب في اختياري أن أتكلم معكم في: هدي النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان.

ففي العبادات كان صلى الله عليه وسلم يكثر منها، فكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة، ورغم أنه أجود الناس إلا أنه أجود ما يكون في رمضان، يكثر من الصدقات والإحسان وتلاوة القرآن والذكر والدعاء والاعتكاف.

حتى أخذ أهل العلم ذلك سنة لهم في هذا الشهر الكريم يعتكف فيه الواحد منهم مع قرآنه مدارسة وتفسيرًا وتدبرًا وعملاً.

وكان صلى الله عليه وسلم يخصّ هذا الشهر المبارك شهر رمضان بما لا يخص به غيره من الشهور، حتى إنه واصل الصيام يومين أو ثلاثة ليتفرغ للعبادة، مع علمنا بأن الوصال في الصوم من الأفعال الخاصة به صلى الله عليه وسلم لا يجوز لنا التأسي فيها به؛ لأنه نهى أصحابه عن الوصال بقوله صلى الله عليه وسلم: «إني لستُ كهيئتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني». كما في الصحيحين.

وكان صلى الله عليه وسلم أيضًا يحثُّ على السحور، فصح عنه قوله صلى الله عليه وسلم: «تسحروا فإنَّ في السحور بركة».

وكان من هديه تعجيل الفطر، وتأخير السحور، ففي الأول ثبت في الصحيح: «لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر». وكان صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات، فإن لم يجد فتمرات، فإن لم يجد حسا حسوات من ماء.

وأما سحوره صلى الله عليه وسلم فكان يؤخِّره حتى ما يكون بين سحوره وبين صلاة الفجر إلا وقت يسير قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية.

وكان يدعو عند فطره بخيري الدنيا والآخرة.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يترك العمل في رمضان، بل كان جهاده في أكبر معاركه التي قادها كانت في رمضان؛ كموقعة بدر، وفتح مكة، حتى سُمِّي رمضان بشهر الجهاد، فما كان يترك الصيام لكثرة عمل، أو ما شابه ذلك.

وكان صلى الله عليه وسلم يصوم في سفره تارة، ويفطر أخرى، وربما خيَّر أصحابه بين الأمرين.

وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ليجتمع قلبه على ربه عز وجل.

وكان عمله في العشر الأواخر أي في الاعتكاف مختلفًا عما في باقي أيام الشهر، فإذا دخل العشر الأواخر أحيا ليله، وأيقظ أهله، وشد مئزره، واجتهد في العبادة أكثر مما كان قبل صلى الله عليه وسلم.

فهذا طرفٌ من هديه وطريقته في هذا الشهر الفضيل، وبيان لسنته.

فعلينا أخي الكريم أن نسدِّد ونقارب، ونجتهد في الاقتداء والاتباع؛ لأنه طريق الفلاح والصلاح، تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٨٠)

٧٤٤- «مَن صامَ يومًا تطوعًا، لم يطّلعْ عليه أحدٌ، لم يَرْضَ الله له بثوابٍ دونَ الجنةِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٧٨/١) من حديث سليمان بن عمرو، عن أبي حازم عن سهل بن سعد مرفوعًا، وعلته سليمان بن عمرو، وهو أبو داود النخعي.

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٤٩٥/٢١٦/٢): «سليمان بن عمرو أبو داود النخعي الكذاب، قال أحمد بن حنبل: كان يضع الحديث. وقال يحيى بن معين: كان أكذب الناس».

وأقر ذلك الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١١٥/٣) (٣٩١٨/٣٣٥)، ونقل عن أئمة الجرح والتعديل تكذيبهم سليمان بن عمرو؛ قال ابن المديني: «كان من الدجالين»، وقال ابن راهويه: «لا أدري في الدنيا أكذب منه، وقال ابن عبد البر: هو عندهم كذاب، يضع الحديث، وتركوا حديثه». ثم قال الحافظ ابن حجر: «الكلام فيه لا يُحْصَر، فقد كذَّبه ونسبه إلى الوضع من المتقدمين والمتأخرين ممن نقل كلامهم في الجرح والتعديل فوق الثلاثين نفسًا». اهـ.

٧٤٥- «عليكم بالرمان فكلوه بشحمه فإنه دباغ المعدة، وما من حبة تقع في جوف رجلٍ إلا أنارت قلبه، وخرست شيطان الوسوسة أربعين يومًا».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام ابن عدي في «الكامل» (٢٤٥/٣) (٧٣٣/١) من حديث علي بن أبي طالب موقوفًا لفظًا وهو مرفوع حكمًا؛ لأن به عبارات لا مجال للاجتهاد فيها، واشتهر الحديث في كُتب التداوي بالأعشاب مثل «تذكرة داود الأنطاكي» (ص١٠٥) وهذا حديث موضوع علته سليمان بن عمرو أبو داود النخعي الكذاب الدجال الوضاع كان أكذب الناس كما بينا آنفًا.

٧٤٦- «رأسُ العقل بعد الإيمان بالله، مداراة الناس، ومن سعادة المرءِ خفّة لحيته».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام ابن عدي في «الكامل» (٢٤٩/٣) من حديث ابن عباس مرفوعًا وعلته سليمان بن عمرو أبو داود النخعي الكذاب الدجال الوضاع كما بينا آنفًا، فالحديث موضوع.

٧٤٧- «ما فضلَ أبو بكرٍ الناس بكثرة صلاة، ولا بكثرة صيام، ولكن بشيءٍ وقر في قلبه».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٤/١) وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: الحديث لم أجده مرفوعًا.

٧٤٨- «كنتُ كنزًا لا أُعرفُ، فأحببتُ أن أعرفَ فخلقتُ خلقًا فعرفتهم بي فعرفوني».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٨٣٨) ثم قال: «قال ابن تيمية: إنه ليس من

كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يُعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي وشيخنا. اهـ.

٧٤٩- «اتقوا شهر رمضان، فإنه شهر الله جعل لكم أحد عشر شهرًا تشبعون فيها وتروون، وشهر رمضان شهرُ الله فاحفظوا فيه أنفسكم».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٣٠- الغرائب الملتقطة) من حديث محمد بن محصن الأسدي، حدثنا الأوزاعي عن مكحول عن أبي أمامة، وواثلة، وعبد الله بن بسر كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعلته محمد بن محصن الأسدي وهو منسوب إلى الجد، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٧٢٠٢/٤٧٦/٣): «محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن عُكاشة بن محصن الأسدي العُكاشي، وهو محمد بن محصن ينسب إلى الجد، يروي عن الأوزاعي، قال البخاري: «منكر الحديث»، وقال ابن معين: «كذاب»، وقال الدارقطني: يضع الحديث». اهـ.

قلتُ: ولقد ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٨١٢٠/٢٥/٤) مرة أخرى فقال: «محمد بن محصن العكاشي ليس بثقة هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عكاشة بن محصن الأسدي وقد مر، قال الدارقطني: متروك يضع». اهـ.

٧٥٠- «إنَّ الله لا يقبل دعاءً ملحونًا».

الحديث لا يصح: أورده القاري في «المصنوع في معرفة الموضوع» (ح٤٧) وقال: «لا يعرف له أصل». اهـ.

٧٥١- «إذا أطاق الغلام صيام ثلاثة أيام متتابعات، فقد وجب عليه صوم شهر رمضان».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٣١٦- الغرائب الملتقطة) من حديث يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة عن أبيه عن جده لبيبة الأنصاري مرفوعًا، وعلته يحيى بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة، أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٥٧١/٣٩٣/٤)، ونقل عن الإمام يحيى بن معين أنه قال: «ليس بشيء».

والحديث من هذا الطريق أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١١٦/٣) فقال: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، قال: حدثنا جُبارة بن مغلس، قال: حدثنا يحيى بن العلاء، عن يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة عن أبيه عن جده مرفوعًا، وقد زاد هذا الطريق الحديث وهنًا على وهن، حيث إن يحيى بن العلاء وهو الرازي البجلي قال الإمام ابن حبان: «كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات التي إذا سمعها مَن الحديث صناعته سبق إلى قلبه أنه كان المعتمد لذلك لا يجوز الاحتجاج به». اهـ.

٧٥٢- «مَن تزوج امرأةً لمالها حَرَمَهُ الله مالها وجَمَالَها».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السيوطي في «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» (ح٣٨٤) وقال: «لا يعرف». اهـ.

٧٥٣- «نحنُ نَحْكُمُ بالظاهرِ».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث مختصر المنهاج في أصول الفقه» (ح٧٨) وقال: «لا أصل له، وسُئل عنه المزي فأنكره». اهـ.

رمضان شهر التضحيات

الحمد لله رب العالمين، رب السماوات والأرض وما بينهما ورب العرش العظيم، خلق الإنسان فكرَّمه، وأنشأه في أحسن تقويم، وفضَّله على كثير من خلقه، سبحانه هو العليم الحكيم.

أما بعد.. فإن الله سبحانه وتعالى يصطفي من خلقه ما يشاء، فاصطفى رمضان من سائر الشهور، وهو شهر القرآن، شهر التقوى والإحسان، شهر الخير والبركات، شهر جعل فيه رب العالمين برحمته وفضله ليلة خيرًا من ألف شهر، وهو شهر تُفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب جهنم وتسلسل فيه الشياطين، وما ذلك كله إلا رحمة من الرحمن الرحيم لعباده الموحدين بالإقبال على الطاعة والانكفاف عن المعاصي، وكلما ضحى العبد وبذل للدين علا إيمانه وحفظ قلبه من الشهوات والشبهات.

وهذه بعض الكلمات عن أفضل الشهور، شهر التضحيات؛ عسى الله تعالى أن ينفع بها ويجعلها في ميزان الحسنات.

الصيام تربية للنفس على التضحية بترك الشهوات المباحة:

فالمقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرّها في معاشها ومعادها.

والصائم يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته، وهو سرّ بين العبد وربه لا يطّلع عليه سواه، والعباد قد يطّلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمرٌ لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم.

وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة؛ حيث يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن

﴿قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصيام جُنَّة، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إني صائم» (أخرجه البخاري ١٨٩٤، ومسلم ١١٥١).

وأمر صلى الله عليه وسلم من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعل الصوم وجاء هذه الشهوة. فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (البخاري ١٩٠٥، ومسلم ١٤٠٠).

والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفِطَر المستقيمة، شرعه الله لعباده رحمة بهم، وإحسانًا إليهم.

الصيام تربية للنفس على التضحية بالخروج عن المألوف ومخالفة المعتاد:

ذلك أن الْوُصُول إِلَى الْمَطْلُوب مَوْقُوف على هجر العوائد، وَقطع الْعَوَائِق والعلائق.

والعوائد: هي السّكُون إِلَى الدعة والراحة، وَمَا ألفه النَّاس واعتادوه من الرسوم والأوضاع الَّتِي جعلوها بِمَنْزِلَة الشَّرْع المتّبع.

وَأما الْعَوَائِق: فَهِيَ أَنْوَاع المخالفات ظَاهرهَا وباطنها فَإِنَّهَا تعوق الْقلب عَن سيره إِلَى الله وتقطع عَلَيْهِ طَرِيقه وَهِي ثَلَاثَة أُمُور: شرك، وبدعة، ومعصية؛ فيزول عائق الشّرك بتجريد التَّوْحِيد، وعائق الْبِدْعَة بتحقيق السُّنَّة، وعائق الْمعْصِيَة بتصحيح التَّوْبَة.

وَأما العلائق: فَهِيَ كل مَا تعلق بِهِ الْقلب دون الله وَرَسُوله من ملاذ الدُّنْيَا وشهواتها، ورياستها، وصحبة النَّاس والتعلق بهم؛ وَلَا سَبِيل إِلَى قطع هَذِه الْأُمُور الثَّلَاثَة ورفضها إِلَّا بِقُوَّة التَّعَلُّق بالمطلب الْأَعْلَى، وَإِلَّا فقطعها عَلَيْهِ بِدُونِ تعلقه بمطلوبه مُمْتَنع، فَإِن النَّفس لَا تتْرك مألوفها ومحبوبها إِلَّا لمحبوب هُوَ أحب إِلَيْهَا مِنْهُ، وآثر عِنْدهَا مِنْهُ، وَكلما قوي تعلق العَبْد بمطلوبه ضعف تعلقه بِغَيْرِهِ، وَكَذَا بِالْعَكْسِ. والتعلق بالمطلوب هُوَ شدَّة الرَّغْبَة فِيهِ، وَذَلِكَ على قدر مَعْرفَته بِهِ، وشرفه، وفضله على مَا سواهُ. (الفوائد لابن القيم ١/١٥٤).

الصيام تربية للنفس على التضحية بالمال:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة» (أخرجه البخاري ٣٢٢٠، ومسلم ٢٣٠٨).

قال ابن رجب في لطائف المعارف (ص: ٢٢٥): «وكان جوده بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمُّل أثقالهم.

فمن جاد على عباد الله، جاد الله عليه بالعطاء، والفضل والجزاء من جنس العمل.

والجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة كما في حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن طيَّب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» (صحيح الترمذي ١٩٨٤، ومسند الإمام أحمد ٣٤٢/٥).

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان فيجتمع فيه للمؤمن الصيام والقيام والصدقة وطيب الكلام، فإنه ينهى فيه الصائم عن اللغو والرفث اهـ.

الصيام تربية للنفس على التضحية بالنوم والراحة:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله» (أخرجه البخاري ٢٠٢٤، ومسلم ١١٧٤).

اختلف العلماء في معنى (شد المئزر) فقيل: هو الاجتهاد في العبادات زيادة على عادته صلى الله عليه وسلم في غيره، ومعناه: التشمير

في العبادات، يقال: شددت لهذا الأمر مئزري أي تشمرت له وتفرغت وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء للاشتغال بالعبادات.
وقولها: (أحيا الليل) أي: استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها، وقولها: (وأيقظ أهله) أي: أيقظهم للصلاة في الليل وجدَّ في العبادة زيادة على العادة.
ففي هذا الحديث استحباب الزيادة من العبادات في العشر الأواخر من رمضان، واستحباب إحياء لياليه بالعبادات.

الصيام تربية للنفس على صلة الرحم الجافي:

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»(صحيح مسلم ٢٥٥٨).
قال النووي: "أي: كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه، وقيل معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف الملّ، وقيل ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم والله أعلم". (شرح صحيح مسلم ١١٥/١٦).

الصيام تربية للنفس على التضحية بملازمة المسجد والانقطاع عن الصوارف بالاعتكاف وتحري ليلة القدر:

عن عائشة-رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده. (أخرجه البخاري ٢٠٢٦، ومسلم ١١٧١).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه اعتكف عشرين يومًا. (أخرجه البخاري ٢٠٤٤).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» (أخرجه البخاري ١٩٠١، ومسلم ٧٥٩).
- وإن ما يبذُله الصائم من تضحية في صيامه يستلزمُ الحذر من كل ما يذهب بثمار التضحية من الوقوع في الغيبة والفحش والكذب ونحو ذلك:
قال الله تبارك وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ» (الحجرات:١٢).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (أخرجه البخاري ١٩٠٣).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصيام جُنَّة، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إني صائم» (أخرجه البخاري ١٨٩٤، ومسلم ١١٥١).
فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتصيّره بمنزلة من لم يصم. (الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص٢٧).
فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى تعديل قوى الشهوة والغضب، وأن الصائم ينبغي له أن يحتمي من إفسادهما لصومه؛ فهذه تُفسد صومه وهذه تُحبط أجره.
قال الحطاب في مواهب الجليل (٢/ ٤٦٧): "إنه يستحب للصائم أن يكف لسانه عن الإكثار من الكلام المباح والكلام بغير ذكر الله سبحانه. وأما كفُّ اللسان عن الغيبة والنميمة والكلام الفاحش فواجب في غير الصوم، ويتأكد وجوبه في الصوم، ولكنه لا يبطل به الصوم، والله أعلم".
نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحُسْن عبادته، والحمد لله رب العالمين.

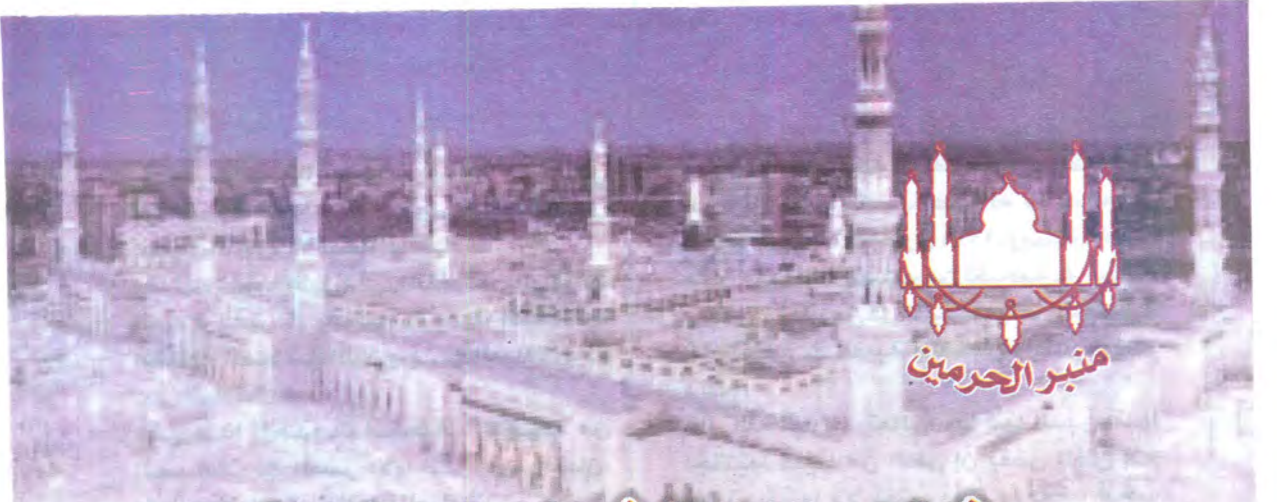

رمضان .. النفحات والبركات

الحمد لله (غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ) (غافر: ٣)، تفضَّل ربُّنا -عز وجل- علينا وعلى الناس بالخيرات، وصرف الشرور والسيئات، أحمدُ ربي وأشكُره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربُّ الأرض والسماوات، وأشهد أن نبيّنا وسيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه الداعي إلى الأعمال الصالحات، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحبه الموصوفين بأفضل الصفات، أما بعد:

إعداد: د: علي عبد الرحمن الحذيفي

خطيب المسجد النبوي الشريف

فاتقوا الله حقَّ التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقى؛ فقد فازَ من اتَّقَى، وخابَ وخسِرَ من كفرَ وعصَى.

أيها المسلمون: لقد نزلَ بساحتكم ضيفٌ كريم، امتنّ الله عليكم فيه بموسمٍ عظيم، فشهرُ رمضان أفضلُ الشهور، ومن رحمة الله بنا أن علّمَنا الشهرَ الفاضل والزمانَ الفاضل، وشرعَ لنا فيه من الأعمال الصالحات ما يكون لنا بها في الآخرة أعظم الثواب، وما يكون لنا بها في الدنيا عونًا على استقامة أحوالنا، وصلاح دُنيانا.

قال الله تعالى: (فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ) (البقرة: ٢٣٩)، وقال تعالى: (كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ) (البقرة: ١٥١، ١٥٢).

رمضانُ يُكفِّرُ الله بالأعمال الصالحة فيه ما بينه وبين رمضان الذي قبلَه؛ عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "الصلواتُ الخمس، والجُمعةُ إلى الجُمعة، ورمضانُ إلى رمضان مُكفِّراتٌ لما بينهنّ إذا اجتُنِبَت الكبائر". رواه مسلم والترمذي.

فضائل شهر رمضان

وفضائلُ هذا الشهر كثيرةٌ في كتاب الله، وعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا دخلَ رمضان فُتِّحَت أبوابُ الجنة، وأُغلقَت أبوابُ جهنّم، وسُلسِلَت الشياطين". رواه البخاري ومسلم.

وللترمذي من حديث أبي هريرة أيضًا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا كان أولُ ليلةٍ من رمضان غُلِّقَت أبوابُ النار فلم يُفتَح منها بَاب، وفُتِّحَت أبوابُ الجنة فلم يُغلَق منها باب، ويُنادي مُنادٍ: يا باغيَ الخير: هلُمّ وأقبِل، ويا باغيَ الشرِّ:

أقصر، ولله عُتقاءُ من النار وذلك في كل ليلةٍ، حتى ينقضي رمضان".

وعن سهل بن سعد-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "في الجنة بابٌ يُدعَى الريّان لا يدخلُه إلا الصائمون". رواه البخاري ومسلم.

ورمضانُ أنزلَ الله فيه من الخيرات والبركات على أمة الإسلام ما لا يُعدُّ ولا يُحصَى، وثوابُ صيامه كفّارةُ الآثام، ودخولُ دار السلام.

عن أبي هريرة-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "من صامَ رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدّم من ذنبه". رواه البخاري.

وقيامُ رمضان كفّارةٌ لما تقدّم؛ عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أيضًا عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "من قامَ رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدّم من ذنبه". رواه البخاري ومسلم.

وقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: "من قامَ مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيامُ ليلة".

وفي هذا الشهر المُبارَك ليلةُ القدر؛ ففي الحديث: "من قامَ ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدّم من ذنبه". رواه البخاري.

ومما فضّل الله به رمضان: أن الله جمعَ فيه أصولَ الإسلام، وأعمالَ البرّ، وأبوابَ الخيرات؛ ففيه الصلوات الفرائض والنوافل مع الصوم، وفيه الصدقات والزكاة لمن يُزكّي ماله فيه المُتقدّم منه والمُتأخّر، وفيه نوعُ الحجّ لمن وُفّق لعُمرة.

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه قال لامرأة من الأنصار: "عُمرةٌ في رمضان تعدلُ حجّةً معي". أو "تعدلُ حجّة". رواه البخاري ومسلم.

وفيه جهادُ النفس والشيطان بكفّها عن المُحرّمات، وحملها على الطاعات، وسدّ أبواب الشيطان التي يدخلُ منها على الإنسان.

فيه أنواعُ الذّكر الذي يجلو صدأ القلوب، وأعظمُ الذّكر القرآنُ العظيم، ورمضانُ شهرُ القرآن الكريم، وهو أعظمُ النّعَم على المُكلّفين، يُبيّنُ الحلالَ من الحرام، والحقّ من الباطل، والخيرَ من الشرّ، والمنافع من المضارّ والمفاسد، والسعادةَ من الشّقاوة، ويرتقي بالإنسان إلى درجات الكمال، ويبني كلّ خُلق كريم، ويمحُو كلّ خُلق ذَميم، ويُهذّبُ النفوسَ، ويُصلحُ القلوبَ، ويُؤسّسُ التوحيدَ لربّ العالمين، ويُثبّته ويُقوّيه، ويهدمُ أنواعَ الشّرك، ويمحُو آثارَه، ويُزيلُها من أعماق النفس البشريّة. وأيُّ نعمة أعظم من ذلك؟!

وتلاوةُ القرآن تَزيدُ في ثَواب الصيام والقيام، والقرآنُ العظيمُ أعظمُ مُعجزات النبي-صلى الله عليه وسلم-، يُخاطبُ العقولَ البشرية على اختلاف مُستوياتها، ويدخلُ إلى العقول والقلوب من كل أبواب البراهين والأدلّة والإقناع ليستجيبَ المُكلّفُ للحق، ويعمل به، ويُدافع عنه، ويُحبّه، ويدعُو إليه، ويعرف الباطل، ويُبغضَه، ويصُدّه، ويُحذّرَ منه.

أو يُعرض عن الحق ويتّبع الباطل عنادًا وإصرارًا عن بيّنة وقيام حُجّة على هذا المُعرض عن القرآن الكريم، ولن يضرّ إلا نفسَه، قال الله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (الجاثية: ٦)، وقال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٥)، وقال-عز وجل-: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الجاثية: ٧، ٨).

وللقرآن العظيم سُلطانٌ وتأثيرٌ على القلوب، وخاصّةً في هذا الشهر المُبارَك، وسرُّ تأثيره وقوة سُلطانه في رمضان أن القرآن غذاء الرُّوح، وصلاحُها، وقوتُها، والطعام والشراب غذاء الأبدان، وفيه قوةُ النفس الأمّارة بالسوء.

فإذا ضعُفَت قوةُ النفس الأمّارة بالسوء قويَت الرُّوحُ بغذاء القرآن وتلاوته، واستعلَت الرُّوح على شهوات البَدن، فاستقامَت أحوالُ المُكلّفين، فاتّصفَ الصائمُ بالتقوى التي هي جماعُ كل خير؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

وتلاوةُ القرآن عبادةٌ يُضاعفُ ثوابُها؛ عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "من قرأ حرفًا فله بكل حرف عشر حسنات، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف".

حقيقة الصوم

أيها المسلمون: عظِّموا شهرَكم، واحفَظوا صيامَكم؛ فما عُظِّم رمضان ولا استُقبِل بما هو أهلُه بمثل التوبة النَّصُوح، والخروج من المظالم، ومُحاسبة النفس بالقيام بما قصَّرت فيه. وكلٌّ أعلمُ بنفسه. فلا تدري-أيها المسلم- متى يأتيك الأجل.

وليس الصيامُ هو الإمساك عن الطعام والشراب فحسب؛ بل الصيام هو الإمساكُ عن المُفطِّرات، وصيامُ الجوارحِ عن المعاصِي، والغِيبَة والنَّمِيمة، وآفات اللِّسان.

عن أبي هريرة-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "من لم يدَع قولَ الزُّور والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدَع طعامَه وشرابَه". رواه البخاري، وأبو داود، والترمذي.

وعن ابن عمر-رضي الله عنهما- أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "رُبَّ صائمٍ حظُّه من صيامه الجوعُ والعطَش، ورُبَّ قائمٍ حظُّه من قيامه السَّهر". رواه الطبراني.

وعن أبي عُبيدة-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "الصومُ جُنَّة ما لم يخرِقها". رواه النسائي. وزاد الطبراني: قيل: بم يخرِقُها؟! قال: "بكذبٍ أو غِيبةٍ".

الزكاة والصدقة في رمضان

أيها المسلمون: إن الزكاة قرينةُ الصلاة والصيام، وإنها حقُّ الله، فرضَها للفقراء، وهي طهارةٌ للمال، ونماءٌ للكسب، والحقوقُ في المال أكثرُ من الزكاة. وهذا الشهر الكريم شهرُ الإحسان والنفقات في أبواب الخير، فأدُّوا فيه زكاةَ أموالِكم يُبارَك لكم فيما آتاكم.

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "كان رسولُ الله-صلى الله عليه وسلم- أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان، فلرسولُ الله-صلى الله عليه وسلم- حين يلقاه جبريل كان أجودَ بالخير من الرِّيح المُرسَلة". رواه البخاري ومسلم.

ومنعُ الزكاة محقٌّ لبركة المال، ولو أدَّى المسلمون كلُّهم زكاةَ أموالهم ما بقيَ فقيرٌ بينهم.

أيها المسلم: تذكَّر أنَّ هذا المال الذي بخِلتَ بزكاته والإنفاق منه أنك معه بين أمرَيْن: إما أن تتركَه إلى قبرك، وإما أن يترُكك ذاهبًا عنك. وكلا الأمرَيْن حَسرةٌ وندامةٌ. ولكم عِبَرٌ في الحياة بمن وقعَ له ذلك.

ومالُك-أيها المسلم- هو ما أنفقتَه في الزكاة وأبواب الخير، فاحرص على أن يكون المالُ زادَك إلى الجنة، ولا يكُن زادَك إلى النار، قال الله تعالى: (وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: ١٣٣، ١٣٤).

الاجتهاد في الطاعة في رمضان

عباد الله: زكُّوا صيامَكم بالاستكثار من الأعمال الصالحات، واعمُروا أوقاتَكم بالحسنات، وإيَّاكم وتضييعَ الأوقات في اللَّهو واللَّعب ومجالس الغفلة والشُّرور والسيئات، وإهدار الساعات في مشاهدة المُسلسلات والفضائيات، والسهر فيما لا ينفع في الدين ولا في الدنيا.

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ". رواه البخاري.

وقال الله تعالى: (وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ) (الأعراف: ٢٠٥).

أيها المسلمون: أنتم ترَون وتسمَعون ما نزلَ بالمسلمين من الشدائد والكرب العظيم في كثير من البلاد، وقد قال الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر: ٦٠).

فادعُوا الله أن يرفعَ عن المسلمين ما نزلَ بهم من البلاء، وأن يُؤلِّف بين قلوبهم، وأن يكفيَهم شُرورَ أنفسهم وشُرورَ غيرهم، وفي الحديث: "الدعاءُ هو العبادة".

فصلُّوا وسلِّموا على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين.

اللهم صلِّ على سيدنا ونبيِّنا محمد، وعلى أزواجه وذريّته يا رب العالمين، اللهم وارضَ عن الصحابة أجمعين.

باب الفقه

صفة وتر الرسول صلى الله عليه وسلم

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

أولاً: تعريف الوتر وفضيلته وحكمه

الوتر لغة: (بفتح الواو، وكسرها) العدد الفردي، كالواحد، والثلاثة، والخمسة.

شرعًا: صلاة الوتر، هي صلاة تُفعَل ما بين صلاة العشاء وطلوع الفجر، تُختم بها صلاة الليل؛ سميت بذلك لأنها تصلى وترًا؛ ركعة واحدة، أو ثلاثًا، أو أكثر.

فضيلته:

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله وتـرٌ يحب الوتر، فأوتـروا يا أهـل القرآن) (صحيح أبي داود برقم ١٢٧٤)، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع الوتر حضرًا ولا سفرًا، وقد سار الصحابة على ذلك فكانوا يواظبون على الوتر حضرًا وسفرًا.

حكمه:

اختلف العلماء في وجوب الوتر؛ فمنهم من قال: إنه واجب وهو قول أبي حنيفة وبعض أصحاب الإمام أحمد، واستدلوا بما روي عن أبي أيوب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الوتر حق على كل مسلم، فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل، ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل، ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل"(رواه أبـو داود، والنسائي، وابـن ماجه، وصححه الألبـاني). وبقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم، وهي صلاة الوتر، فصلوها ما بين صلاة العشاء إلى صلاة الفجر" (رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني) دون قوله: (هي خير لكم من حمر النعم)؛ وهو أمر، والأمر يقتضي الوجوب، والأحاديث الآمرة به كثيرة؛ ولأنه صلاة مؤقتة تقضى.

القول الثاني: أنه سنة مؤكدة، وهو قول جمهور العلماء، ومنهم الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد، واستدلوا بحديث الأعرابي الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عما فرض الله عليه فقال صلى الله عليه وسلم: (خمس صلوات في كل يوم وليلة قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع) متفق عليه؛ فهذا دليل صريح في عدم الوجوب.

وقول علي رضي الله عنه: (الوتر ليس بحتم كهيئة المكتوبة ولكنها سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم). أخرجه أحمد، والنسائي، والترمذي، وصححه الألباني.

وأجابوا عن أحاديث من قال بالوجوب أنها محمولة على تأكيد سنية الوتر لا على وجوب الوتر، ومعنى الوتر حق أنه ثابت في الشرع.

ثانياً: وقت صلاة الوتر:

وقته عند الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد والجمهور من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر؛ لحديث عمرو بن العاص عن أبي بصرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله زادكم صلاة، فصلوها فيما بين صلاة العشاء إلى صلاة الصبح؛ الوتر" رواه أحمد وصححه الألباني.

فلا يُصلَّى الوتر إلا بعد العشاء لهذا الحديث ولو صلى العشاء مع المغرب جمع تقديم جاز له أن يصلي الوتر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل بداية الوتر بعد صلاة العشاء وليس بعد دخول وقت العشاء ولا يوتر بعد طلوع الفجر لهذا الحديث، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا طلع الفجر فقد ذهب كل صلاة الليل والوتر، فأوتروا قبل طلوع الفجر) (رواه الترمذي ٤٦٩، وصححه الألباني).

وقد أوتر النبي صلى الله عليه وسلم في أول الليل وأوسطه وآخره، واستقر فعله صلى الله عليه وسلم له آخر الليل، قالت عائشة رضي الله عنها: "من كل الليل قد أوتر النبي صلى الله عليه وسلم، من أول الليل وأوسطه وآخره، فانتهى وتره إلى السحر" (متفق عليه). (الدين الخالص لمحمود خطاب السّبكي).

ثالثاً: عدد ركعات الوتر:

أقل صلاة الوتر عند الشافعية والحنابلة ركعة واحدة. قالوا: ويجوز ذلك بلا كراهة؛ لحديث: "صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة"، والاقتصار عليها خلاف الأولى، لكن في قول عند الشافعية: شرط الإيتار بركعة سبق نفل بعد العشاء من سنتها، أو غيرها ليوتر النفل. وفي قول عند الحنابلة- خلاف الصحيح من المذهب-: يكره الإيتار بركعة حتى في حق المسافر، تسمى البتيراء، ذكره صاحب الإنصاف.

وقال الحنفية: لا يجوز الإيتار بركعة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن البتيراء قال ابن القطان: هذا حديث شاذ لا يعرج على روايته.

وقال الشافعية والحنابلة: أكثر الوتر إحدى عشرة ركعة، وفي قول عند الشافعية أكثره ثلاث عشرة ركعة.

أما الحنفية: فلم يذكروا في عدده إلا ثلاث ركعات، بتشهدين وسلام، كما يصلى المغرب.

أما عند المالكية: فإن الوتر ركعة واحدة، لكن لا تكون إلا بعد شفع يسبقها. واختلف: هل تقديم الشفع شرط صحة أو كمال؟ قالوا: وقد تسمى الركعات الثلاث وترًا إلا أن ذلك مجاز، والوتر في الحقيقة هو الركعة الواحدة. ويستثنى من كراهة الإيتار بركعة واحدة من كان له عذر، كالمسافر والمريض (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٩٥/٢٧ بتصرف).

وقد جاءت أحاديث كثيرة تصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وصفاً دقيقاً، والكل تحدث بما رأى؛ فمن الصحابة من روى أنه صلى إحدى عشرة ركعة، ومنهم من حدَّث أنه صلى ثلاث عشرة ركعة، ومنهم من أخبر أنه صلى تسعاً وسبعاً. وهذا الاختلاف هو اختلاف تنوع لا تضاد، وقد ذكرت عائشة رضي الله عنها هذا التنوع؛ فقد سئلت رضي الله عنها: بكم كان رسول الله يوتر؟ فقالت: (كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث، ولم يكن يوتر بأنقص من سبع وبأكثر من ثلاث عشرة) (رواه أبو داود ١٣٦٢ وصححه الألباني).

وفي إتيانها بثلاث في كل عدد دلالة ظاهرة بأن الوتر في هذه الرواية في الحقيقة هو الثلاث وما وقع قبله من مقدماته المسماة بصلاة التهجد؛ فإطلاق الوتر على الكل مجاز، ويؤيده الحديث الصحيح "اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا" (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الملا على القاري).

قال القرطبي: "وقد أشكلت هذه الأحاديث على كثير من العلماء، حتى إن بعضهم نسبوا حديث عائشة رضي الله عنها في صلاة الليل إلى الاضطراب، وهذا إنما كان يصح لو كان الراوي عنها واحدًا، أو أخبرت عن وقت واحد، والصحيح: أن كل ما ذكرته صحيح من فعل النبي صلى الله عليه وسلم في أوقات متعددة، وأحوال مختلفة، حسب النشاط واليُسْر، وليبين أن كل ذلك جائز. (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٣٤/٣).

وعلى الجملة فقد وردت السنة الصحيحة الصريحة المحكمة في الوتر بخمس متصلة وسبع متصلة " كحديث " أم سلمة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بخمس وسبع وبخمس لا يفصل بسلام ولا بكلام. والأحاديث هنا كلها

صحاح صريحة لا معارض لها سوى قوله صلى الله عليه وسلم: صلاة الليل مثنى مثنى، وهو حديث صحيح، لكن الذي قاله هو الذي أوتر بالسبع والخمس. وسننه كلها حق يُصدِّق بعضها بعضاً. فالنبي صلى الله عليه وسلم أجاب السائل عن صلاة الليل بأنها مثنى مثنى، ولم يسأله عن الوتر. وأما السبع والخمس والتسع والواحدة، فهي صلاة الوتر. والوتر اسم للواحدة المنفصلة مما قبلها وللخمس والسبع والتسع المتصلة، كالمغرب اسم للثلاث المتصلة. فإن انفصلت الخمس والسبع بسلامين كالإحدى عشرة، كان الوتر اسماً للركعة المفصولة وحدها كما قال صلى الله عليه وسلم: "صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي الصبح أوتر بواحدة توتر له ما قد صلى"؛ فاتفق فعله صلى الله عليه وسلم وقوله وصدَّق بعضُه بعضاً. (الدين الخالص لمحمود خطاب السّبكى).

رابعاً: الدعاء في الوتر:

الأصل في جوازه ما روى الحسن رضي الله عنه قال: "علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر: اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت؛ فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت". قال الألباني (أخرجه أبو داود، والنسائي، وغيرهما بسند صحيح، وقال شعيب الأرناؤوط في المسند: إسناده ضعيف).

وما روى أُبَيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت يعني في الوتر قبل الركوع. (أخرجه النسائي وابن ماجه وصححه الألباني).

وما روى على رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره: "اللهم أني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك". (أخرجه أبو داود، والترمذي)، وقد ضعَّف الإمام أحمد أحاديث الباب. قال الخلال عن أحمد: "لا يصح فيه عن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيء، ولكن عمر كان يقنت".

واختلف أهل العلم في استحباب القنوت في الوتر على أقوال؛ فبعضهم يرى استحباب القنوت في السنة كلها، وهذا قول ابن مسعود والثوري وأهل الكوفة. وبعضهم يقول: إنه لا يقنت إلا في النصف الأخير من رمضان، وهو قول الشافعي وأحمد. ولم يثبت في ذلك خبر مرفوع؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يداوم على القنوت في الوتر في السنة كلها، وكذلك كان لا يخصه بالنصف الأخير من رمضان.

والحجة في ذلك: أن الأحاديث الواردة فيه مطلقة غير مقيدة، فالأفضل عدم المداومة على القنوت؛ لأن كل من روى وتر النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر أنه قنت فيه إلا في حديث أُبَيّ وعليّ المتقدمين. قال الألباني: "إنما قلنا: كان يقنت أحياناً؛ لأننا تتبعنا الأحاديث الواردة في إيتاره صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهي كثيرة-؛ فوجدنا أكثرها لا تتعرض لذكر القنوت مطلقاً- كأحاديث عائشة، وابن عباس وغيرهما-، ومقتضى الجمع بينها وبين حديث أُبَيّ وما في معناه أن يقال: إنه كان يقنت أحياناً، ويدع أحياناً، إذ لو كان يقنت دائماً؛ لما خفي ذلك على أكثر الصحابة الذين رووا إيتاره صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ٣/٩٧٠)

وإن قنت المصلى قبل الركوع أو بعده فلا بأس فالكل جائز.

ولا بأس بالدعاء بعد التسليم في الوتر؛ فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الوتر أنه كان يقول إذا سلَّم: "سبحان الملك القدوس ثلاثاً يرفع صوته بالثالثة". (رواه أحمد).

مسألة من نام عن وتره هل يقضيه؟

روى ابن ماجه وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نام عن الوتر أو نسيه فليصل إذا أصبح أو ذكره أو إذا استيقظ". (رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني).

وعن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من نام عن وتره فليصل إذا أصبح"(رواه الترمذي قال أبو عيسى - أي الترمذي- وهذا أصح من الحديث الأول وصححه الألباني).

وهذا في حق الناسي والنائم، أما المتعمد فلا يُشرَع في حقه القضاء.

مسألة في جواز نقض الوتر أي جواز صلاته مرتين

في ليلة واحدة:

اختلف العلماء فيمن أوتر أول الليل، ثم قام من آخره هل يشفع وتره ثم يصلي ما بدا له ثم يوتر أم يصلي شفعًا، ويكفيه وتره من أول الليل على قولين:

القول الأول: أنه لا ينقض وتره، وإنما يصلي ما بدا له شفعاً؛ وهو قول أحمد، ومالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وأبي ثور.

وروي ذلك عن أبي بكر، وعمر، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم، واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: (لا وِتْرَان في ليلة). رواه الترمذي، وصححه الألباني.

وكذلك استدلوا بفعل النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى بعد الوتر جالسًا. قال النووي: "إن هاتين الركعتين فعلهما صلى الله عليه وسلم بعد الوتر جالسًا؛ لبيان جواز الصلاة بعد الوتر، وبيان جواز النفل جالساً".

القول الثاني: يصلي إلى الركعة التي أوتر بها قبل أن ينام ركعة أخرى، ثم يصلي ما بدا له، ثم يوتر في آخر صلاته، واحتج بعضهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يجعل آخر الصلاة بالليل وترًا، هكذا قال إسحاق وغيره، فممن روي عنه أنه كان يشفع وتره، عثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وممن روي عنه أنه فعل ذلك علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس.

واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: (اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا) متفق عليه.

وأجيب عنه: بأن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا"، في الرجل يريد الصلاة من الليل، فإذا أراد ذلك فالسنة أن يصلي مثنى مثنى، ثم يوتر آخر صلاته، وليس ذلك لمن قد أوتر مرة، إذ ليس من السنة أن يوتر في ليلة مرتين، والدليل على أن معنى قول ابن عمر المعنى الذي قلناه أن ابن عمر وهو الراوي لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا" وقد سئل عن نقض الوتر فقال: " إنما هو شيء أفعله برأي لا أرويه عن أحد " (الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف أبو بكر بن المنذر ٥/١٩٨).

والذي يظهر لي أن الراجح هو القول الأول لصراحة دليل القول الأول في النهي عن الوتر مرتين.

وأنه جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى بعد الوتر وفعله دليل على جواز الشفع بعد الوتر، وأن ذلك لا يضر وتره. وأن شفع الوتر يؤدي في صورته أنه أوتر ثلاث مرات.

القراءة في صلاة الوتر:

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ في صلاة الوتر بسبح والكافرون، وقل هو الله أحد.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بـ سبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد في ركعة ركعة. (رواه الترمذي ٤٦٢ وصححه الألباني).

وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث ركعات كان يقرأ في الأولى بـ سبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد. (رواه النسائي ١٧٠١ وصححه الألباني).

جواز صلاة النافلة بعد الوتر:

يجوز للمصلي أن يصلي بعد الوتر ركعتين نافلة والأصل في ذلك ما روي عن أم سلمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين (رواه الترمذي ٤٧١ وابن ماجة١١٩٥ وصححه الألباني).

وعن عائشة رضي الله عنها وفيه: ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد. رواه مسلم قال النووي: قال أحمد لا أفعله ولا أمنع من فعله قال وأنكره مالك قلت: الصواب أن هاتين الركعتين فعلهما صلى الله عليه و سلم بعد الوتر جالسا لبيان جواز الصلاة بعد الوتر وبيان جواز النفل جالسا ولم يواظب على ذلك بل فعله مرة أو مرتين أو مرات قليلة ولا تغتر بقولها كان يصلي فإن المختار الذي عليه الأكثرون والمحققون من الأصوليين أن لفظه كان لا يلزم منها الدوام ولا التكرار وإنما هي فعل ماض يدل على وقوعه مرة فإن دل دليل على التكرار عمل به وإلا فلا تقتضيه بوضعها. (شرح النووي على صحيح مسلم ٢١/٦)

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

ليلةُ القَدرِ نورٌ على الكون أضاء

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن ليلة القدر لها شأن عظيم عند الله تعالى، ولها خصائص تختص بها، ولذا فقد أفردت لها هذا المقال، وسوف أتناول فيه ستة أمور:

١- فضل ليلة القدر.
٢- وقت ليلة القدر
٣- ما يشرع في ليلة القدر.
٤- هل تنتقل ليلة القدر من ليلة إلى أخرى.
٥- الحكمة من رفع العلم بليلة القدر.
٦- علامة ليلة القدر.

وهذا أوان الشروع في المقال، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: فضلُ ليلة القدر

(١) أُنزلَ فيها القُرآنُ: قال تعالى: « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ »؛ وَقَد أَجمَعَ المُفَسِّرونَ عَلى أَنَّ المُرادَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا القُرْآنَ في لَيْلَةِ القَدْرِ، وَلَكِنَّهُ تَعالَى تَرَكَ التَّصْريحَ بالذِّكْرِ، فَلَم يَأتِ بِذِكْرِ الاسم الظاهر للقُرآنِ بَل عَبَّرَ عَنهُ بالضَميرِ «أنْزَلْنَاهُ»، وَهَذا مِنْ بَديعِ النَّظمِ القُرآنيِ.

الذي يَدُلُّ عَلى عظَمِ القُرْآنِ من ثَلاثَة أَوْجُه:

أَحَدُها: أَنَّهُ أَسْنَدَ إِنْزالَهُ إِلَيْه سُبحَانَهُ وجَعَلَهُ مُخْتَصًّا به دُونَ غَيْره، وَهُوَ تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ لِلقُرآنِ يُنْبِئُ عَنْ كَمالِ العِنايَةِ به.

والثَّاني: أَنَّهُ جاءَ بِضَميرِهِ دُونَ اسْمه الظّاهر؛ شَهادَةً لَهُ بِالنَّباهَةِ والاسْتِغْنَاءِ عَنِ التَّصْرِيحِ، وإِيمَاء إلى أَنَّهُ حَاضرٌ في أذهَان المُسلمين، لشدَّة إقبَالهم عَلَيه.. إيماءً إلى شُهرَته بَيْنَهُم.

والثّالثُ: تَعْظيمُ الوَقْت الّذي أُنْزلَ فيه. (انظر تفسير الرازي ٢٧/ ٣٢، والتحرير والتنوير ٣٠/٤٥٦).

(٢) يقَدِّرُ اللهُ سبحانه وتعالى فيها كُلَّ ما هو كائنٌ في السَّنَة: قال تعالى: « فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ » (الدخان: ٤-٥).

ففي تلك الليلة يُقَدِّرُ اللهُ سبحانه مقاديرَ الخلائق على مدار العام، ويُكتَبُ فيها الأحياءُ والأمواتُ، والنَّاجون والهالكونَ، والسُّعداءُ والأشقياءُ، والعزيزُ والذَّليل، وكل ما أراده الله سبحانه وتعالى في السَّنة المُقبلة، يُكتَبُ في ليلة القَدرِ هذه " (تفسير ابن جرير ١٦/ ٤٨٠، تفسير ابن كثير ٤/ ٤٦٩).

(٣) وفي سبب تسميتها بليلة القدر عدة أقوال أهمها: أنها سميت بليلة القدر، من القدر وهو الشرف. وقيل: لأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة. وقيل: لأن للقيام فيها قدرًا عظيمًا. (ينظر: المغني ٣/ ١٨١، والشرح الممتع لابن عثيمين ٦/ ٤٩٢).

(٤) أنَّها ليلةٌ مُبارَكةٌ:

قال تعالى: « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ » (الدخان: ٣).

"ولا رَيْبَ أنَّها كانَتْ أبْرَكَ لَيْلَة وأَيْمَنَها عَلى العالَمِينَ،

بتَنْزيلِ ما فيه الحكْمَةُ والهُدى، والنَّجاةُ منَ الضَّلالِ والرَّدَى. قالَ القاشاني: ووَصَفَها بالمُباركَة، لظُهُورِ الرَّحْمَةِ والبَرَكَة، والهدايَةِ والعَدالَةِ في العالَمِ بسَبَبِها. وازْدِيادِ رُتْبَتِه ؟ وكَمالِه بها. كَما سَمّاهَا (لَيْلَةَ القَدْرِ) لأنَّ قَدْرَهُ وكَمالَهُ إنّما ظَهَرَ بِها. (محاسن التأويل للقاسمي ١٧/ ٦٢٢١).

(٥) العبادةُ فيها تَفضُلُ العبادةَ في ألف شَهرٍ:

قال تعالى: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» (القدر: ٣).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول، حيث مَنَّ تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عُمْرُ رجلٍ مُعَمَّرٍ عُمْرًا طويلاً نيفًا وثمانين سنة" (تفسير السعدي: ٩٣١).

(٦) ينزلُ فيها جبريلُ والملائكةُ بالخَيرِ والبَرَكةِ:

قال تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ» (القدر: ٤).

قال ابنُ كثير رحمه الله: "يكثُرُ تنزُّلُ الملائكة في هذهِ الليلة؛ لكثرةِ بركتِها، والملائكة يتنزَّلُون مع تنزلِ البركةِ والرحمة، كما يتنزَّلُون عند تلاوة القرآن ويُحيطُون بحلَقِ الذِّكر، ويضَعُون أجنحتَهم لطالب العلم بصدقٍ؛ تعظيماً له" (تفسير القرآن العظيم ٨/٤٤٤).

(٧) ليلةُ القَدرِ سَلامٌ:

قال تعالى: «سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ» (القدر: ٥).

فهي ليلةٌ خاليةٌ منَ الشرِّ والأذى، وتكثُرُ فيها الطَّاعةُ وأعمالُ الخَيرِ والبِرِّ، وتكثرُ فيها السَّلامةُ منَ العذاب؛ فهي سلامٌ كُلُّها. (والإخْبارُ عَنْها بالسَّلامِ نَفْسِهِ- وهُوَ الأمْنُ والسَّلامَةُ- للمُبالَغَةِ في أنَّهُ لَمْ يَشُبْها كَدَرٌ، بَلْ فَرَّجَ اللهُ فيها عَنْ نَبيِّهِ كُلَّ كُرْبَةٍ وفَتَحَ لَهُ فيها سُبُلَ الهدايَةِ، فَأنالَهُ بذَلِكَ ما كانَ يَتَطَلَّعُ إلَيْه الأيّامَ والشُّهُورَ الطِّوالَ). (محاسن التأويل للقاسمي ٦٢٢١/١٧).

ثانيًا: ما يُشرَعُ في ليلة القدر

(١) يُشرَعُ في هذه الليلةِ الشَّريفةِ قيامُ لَيلِها بالصَّلاة.

فعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: "ومن قامَ ليلةَ القَدرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنبِه" (رواه البخاري ٢٠١٤، ومسلم ٧٦٠).

(٢) ويُشرَعُ فيها كذلك الاعتكافُ؛ فقد كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يعتَكِفُ في العَشْرِ الأواخرِ؛ التماسًا لِليلةِ القَدرِ.

فعن أبي سعيد الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: "مَن كان اعتكَفَ معي، فلْيعتكِفِ العَشرَ الأواخرَ، وقد أُريتُ هذه الليلةَ ثم أنسيتُها، وقد رأيتُني أسجُدُ في ماءٍ وطينٍ من صَبيحَتِها فالتَمِسوها في العَشرِ الأواخرِ، والتَمِسوها في كُلِّ وِترٍ" (رواه البخاري ٢٠٢٧، ومسلم ١١٦٧).

(٣) ويُشرَعُ الدُّعاءُ فيها والتقَرُّبُ به إلى اللهِ تبارك وتعالى

فعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: "قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ إنْ عَلِمْتُ أيَّ ليلةٍ ليلةُ القَدرِ، ما أقولُ فيها؟ قال: قولي: اللَّهُمَّ، إنك عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفوَ فاعْفُ عَنِّي" (صحيح الترمذي ٣٥١٣).

والحكمة من سؤال الله العَفْو في هذه الليلة:

قد أبانه الحافظ ابن رجب في قوله: (وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر- بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر- لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يَرَونَ لأنفسهم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو، كحال المذنب المقصر) (لطائف المعارف: ٢٠٦).

الإيمان باسم الله "العَفُو":

قال الغزالي رحمه الله: "العَفُوُّ": هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي وهو قريب من الغفور ولكنه أبلغ منه، فإن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر، وأصل العفو المحو والطمس، وهو من أبنية المبالغة.. (المقصد الأسنى، ص٨٩).

(٤) العَمَلُ الصَّالحُ:

قال الله تعالى: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» (القدر: ٣).

قال كثيرٌ منَ المُفَسِّرينَ: أي: العَمَلُ فيها خيرٌ منَ العَمَلِ في ألفِ شَهرٍ، ليس فيها ليلةُ القَدْرِ؛ ففي تلكَ الليلةِ يُقسَمُ الخيرُ الكثيرُ الذي لا يُوجَدُ مِثلُه في ألفِ شهرٍ (تفسير القرطبي ١٣١/٢٠)

ثالثًا: وقت ليلة القدر

ليلةُ القَدرِ في العَشرِ الأواخرِ من رَمَضانَ، وهي في الأوتارِ أقرَبُ منَ الأشفاعِ، وهو مذهبُ الشَّافعيَّةِ، والحنابلةِ، وقولٌ للمالكيَّةِ واختاره ابنُ تَيميَّةَ، والصنعانيُّ، وابنُ باز، وابنُ عُثيمين.

الأدلة من السنة:

(١) عن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم قال: "تَحرَّوْا ليلةَ القَدْرِ في الوترِ منَ العَشرِ الأواخرِ منْ رَمَضانَ" (رواه البخاري ٢٠١٧، ومسلم ١١٦٩).

(٢) عن ابنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: "التَمسُوها في العَشرِ الأواخرِ من رمضانَ، ليلةَ القَدْرِ في تاسعةٍ تبقى، في سابعةٍ تَبقى، في خامسةٍ تبقى" (رواه البخاري ٢٠٢١).

(٣) عن ابنِ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عنهما، "أنَّ رجالًا من أصحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أُرُوا ليلةَ القَدْرِ في المنامِ في السَّبعِ الأواخرِ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أرى رُؤْيَاكُم قد تواطَأَتْ في السَّبعِ الأواخرِ، فمن كان مُتَحَرِّيَها فلْيتحرَّها في السَّبعِ الأواخرِ" (رواه البخاري ٢٠١٥، ومسلم ١١٦٥).

رَابعًا: هل تنتقل ليلةُ القَدْرِ من ليلة إلى أخرى؟

الصَحيحُ مِن قَوْلَي أهْلِ العلم أنّ ليْلَةَ القَدرِ لا تختَصُّ بليلةٍ مُعَيَّنةٍ في جَميعِ الأعوامِ، بل تتنَقَّلُ في لَيَالي العَشْرِ الأواخرِ مِن رَمَضانَ، وهو مَذهَبُ الشَّافعيَّة، والحَنابلة، وقَولٌ عند المالكيَّة، وهو قَولُ أكثرِ أهلِ العلمِ.

الأدلَّة مِن السُّنَّة:

(١) عن أبي سعيد الخدريِّ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (كنتُ أجاوِرُ هذه العَشْرَ، ثم قد بدا لي أن أجاوِرَ هذه العَشْرَ الأواخرَ، فمن كان اعتَكَفَ معي فلْيَثْبُتْ في مُعتَكَفه، وقد أُريتُ هذه الليلةَ، ثم أُنسِيتُها، فابتَغُوها في العَشْرِ الأواخرِ، وابتَغُوها في كلِّ وِترٍ، وقد رأيتُني أسجُدُ في ماءٍ وطِينٍ، فاستهَلَّت السَّماءُ في تلك الليلة فأمطرَت، فوَكَفَ المَسجدُ في مُصَلَّى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليلةَ إحدى وعشرينَ، فبَصُرَتْ عيني رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ونَظَرْتُ إليه انصَرَفَ منَ الصُّبْحِ ووجهُه ممتلئٌ طينًا وماءً) (رواه البخاري ٢١٠٨ واللفظ له، ومسلم ١١٦٧).

(٢) عن عبدِ اللهِ بنِ أُنَيسٍ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: "أُريتُ ليلةَ القَدْرِ ثمَّ أُنْسيتُها، وأُراني صُبْحَها أسجُدُ في ماءٍ وطينٍ، قال: فمُطِرْنَا ليلةَ ثلاثٍ وعشرينَ، فصلَّى بنَا رسولُ اللهِ، فانصرَفَ، وإنَّ أثَرَ الماءِ والطِّينِ على جَبهَتِه" (رواه مسلم ١١٦٧).

قال النووي رحمه الله: "وقَالَ المُحَقِّقُونَ: إنَّهَا تَنْتَقل فَتَكُون في سَنَة: لَيْلَة سَبْع وَعِشْرِينَ، وَفي سَنَة: لَيْلَة ثَلَاث، وَسَنَة: لَيْلَة إِحْدَى، وَلَيْلَة أُخْرَى وَهَذَا أَظْهَر، وَفيه جَمْع بَيْن الْأَحَادِيث الْمُخْتَلِفَة فِيهَا". انتهى من "شرح صحيح مسلم للنووي" (٤٣/٦).

وقال الحافظ ابن حجر: "وأرجحُها كلها: أنها في وتر من العَشر الأخير، وأنها تَنتقل، كما يُفهمُ من أحاديث هذا الباب" (فتح الباري: ٤١٣/٤).

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: "والراجح أنها متنقلة في ليالي العشر كلها، وأوتارها أحرى، ومن اجتهد في العشر كلها في الصلاة والقرآن والدعاء وغير ذلك من وجوه الخير أدرك ليلة القدر بلا شك وفاز بما وعد الله به من قامها إذا فعل ذلك إيمانا واحتسابًا" (مجموع الفتاوى ٥٠٠/٦)

خامسًا: الحكمة في رفع العلم بليلة القدر وعدم تعيينها:

والحكمة في إخفاء ليلة القدر وعدم تعيينها لكَي يَحصل الاجتهاد في التماسها في جميع الليالي، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرَج النبي صلى الله عليه وسلم ليُخبرَنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجتُ لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان (تنازعا)، فرُفعت، وعسى أن يكون خيرًا لكم..» (البخاري ٢٠٢٣).

قال البيهقي: "قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعلمها في الابتداء، غير أنه لم يكن مأذونًا له في الإخبار بها؛ لئلا يتَّكلوا على علمها فيُحيوها دون سائر الليالي، ثم إنه صلى الله عليه وسلم أنسيَها؛ لئلا يُسأل عن شيء من أمر الدين فلا يُخبر به" (فضائل الأوقات للبيهقي ٢٤٤).

قال الحافظ ابن حجر: "قوله: «فعسى أن يكون خيرًا» فإن وجه الخيرية من جهة أن خَفاءها يستدعي قيام كل الشهر، أو العشر، بخلاف ما لو بقيَت معرفة تعيينها" (فتح الباري ٣١٤/٤).

سادسًا: علامةُ ليلة القَدْر:

من علاماتِ ليلةَ القَدرِ أنَّ الشَّمسَ تطلُعُ في صبيحَتها صافيةً، ليس لها شُعاعٌ.

الدَّليل منَ السُّنَّة:

عن أُبَيِّ بن كَعب رَضيَ اللهُ عنه أنَّه قال: "... أخبَرَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّها تطلُعُ يومَئذٍ لا شُعاعَ لها" (رواه مسلم ٧٦٢)

وفي لفظ آخرَ لمسلم عن أُبَيِّ بن كَعب رَضيَ اللهُ عنه: "وأمارَتُها أن تَطلُعَ الشَّمسُ في صَبيحةِ يَومِها بيضاءَ لا شُعاعَ لها" (رواه مسلم ٧٦٢).

وفقنا الله وإياكم لإدراك ليلة القدر واغتنامها والفوز بها، والله من وراء القصد،

والحمد لله رب العالمين.

واحة

من نور كتاب الله

رمضان شهر الدعاء

قال الله تعالى: " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ " (البقرة: ١٨٦)

من فضائل شهر رمضان فتح أبوب الجنة واغلاق أبواب النار

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل شهر رمضان فُتِّحت أبواب السماء، وغُلِّقت أبواب جهنم، وسُلْسِلَت الشياطين" (صحيح البخاري)

من الآداب في شهر الصيام

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم" (رواه الترمذي، صحيح الجامع ٨٣٢٤).

لا تحرم نفسك المغفرة

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغْفر له" (صحيح الجامع ٣٥١٠).

دعاء من أفطر عند قوم

عن عبد اللهّ بن الزبير أن رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم أفطر عند سعد بن عبادة فقال: "أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة" (صحيح الجامع ١١٣٧).

التوحيد

إعداد: علاء خضر

دعاء الصائم مستجاب

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم ودعوة المظلوم ودعوة المسافر"

(صحيح الجامع ٣٠٣٠).

ليلة القدر في ليالي الوتر

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان"

(صحيح البخاري).

أجر من فطَّر صائمًا

عن زيد بن خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من فطَّر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا"

(صحيح الجامع ٦٤١٥).

حقيقة الصيام

عن الشعبي قال: قال عمر: "ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف"

(مصنف عبد الرزاق).

في السحور بركة

عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "السحور أكله بركة فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين" (مسند أحمد)

الترجيح في عدد ركعات صلاة التراويح

إعداد د. متولي البراجيلي

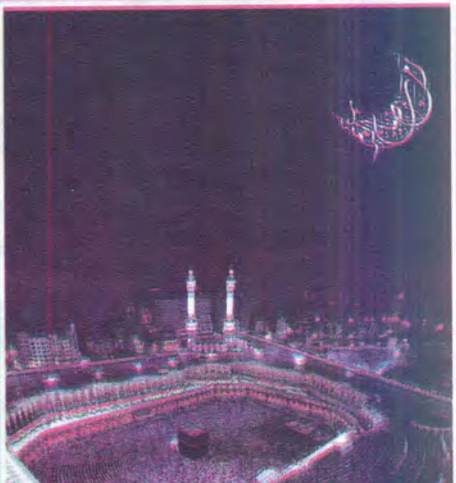

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد: أتناول في هذه المقالة بعض مسائل صلاة التراويح مع التركيز على عدد ركعاتها.

أولا: النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة التراويح:

صلاة التراويح في رمضان سُنَّة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها عدة ليال، ثم تركها؛ خشية أن تُفرَض على الأمة، والزمان زمان تشريع ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان الناس يصلون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان أوزاعًا (متفرقين) يكون مع الرجل شيء من القرآن فيكون معه النفر الخمسة أو الستة، أو أقل من ذلك أو أكثر فيصلون بصلاته. فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من ذلك أن أنصب له حصيرًا على باب حجرته (جعلت موضعًا من المسجد محاطًا بحصير) ففعلت.

فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن صلى العشاء الآخرة، وجدار الحجرة قصير فرأى الناس شخص النبي صلى الله عليه وسلم (وفي رواية فسمع المسلمون قراءته)، فاجتمع إليه مَن في المسجد فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلاً طويلاً والناس يأتمون به من وراء الحجرة، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل وترك الحصير على حاله، فأصبح الناس فتحدثوا بذلك، فقام الليلة الثانية فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلوا بصلاته.

فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة، ثم دخل بيته وثبت الناس، فاطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: ما شأن الناس يا عائشة؟ فقلت له: يا رسول الله، سمع الناس بصلاتك البارحة ممن كان في المسجد، فحشدوا لذلك لتصلي لهم، فقال: اطو عنا حصيرك يا عائشة. قالت: ففعلت، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم غير غافل.

فظنوا أنه قد نام، فجعل الناس ينادونه: الصلاة، فلم يخرج حتى خرج لصلاة الصبح، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما زال الناس ينتظرونك البارحة يا رسول الله. فقال: أما إنه لم يَخْفَ عليَّ أمرهم، ولكني خشيت أن تُكْتَب عليهم. (انظر صحيح البخاري ح ٧٣٠، ٧٣١، مسلم ح ٧٨١.

ثانيًا: ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على مَن صلى التراويح:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في رمضان فرأى ناسًا في ناحية

المسجد يصلون، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقال قائل: يا رسول الله هؤلاء ناس ليس معهم قرآن، وأُبَيّ بن كعب يقرأ وهم يصلون بصلاته، فقال: قد أحسنوا، وقد أصابوا (سنن أبي داود ١٣٧٧، وحسنه الألباني في كتاب صلاة التراويح ص ١٠).

ثالثًا: عدد ركعات صلاة التراويح:

لم يرد حديث صحيح -فيما أعلم- بعدد الركعات التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالصحابة التراويح، لذا اختلف أهل العلم في عددها على أقوال كثيرة، منها: ٤٠ ركعة غير الوتر، ٣٦ ركعة غير الوتر، ٢٠ ركعة غير الوتر، ١١ ركعة بالوتر، ١٣ ركعة بالوتر.

وهناك أقوال أخرى غير المذكورة، وسأركز البحث على رواية الإحدى عشر لثبوتها من غالب فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ورواية العشرين غير الوتر لعمل الجمهور بها.

١- رواية الإحدى عشرة ركعة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة" (متفق عليه).

وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه أنه قال: أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميمًا الداريّ أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، فكان القارئ يقرأ حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر (أوائله) (أخرجه مالك ح٢٨٠، والبيهقي ح٤٢٨٧، وصححه الألباني في المشكاة).

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بعض الليالي لا يقتصر على إحدى عشرة ركعة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة ثم يصلي إذا سمع النداء بالصبح ركعتين خفيفتين (صحيح مسلم).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل (متفق عليه). وقد ثبت في حديث زيد بن خالد الجهني أنه قال: "لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. (في قيام الليل)، وفيه فذلك ثلاث عشرة ركعة (مسلم).

وقد اختلف أهل العلم في الركعتين فوق الإحدى عشرة ركعة، فقيل: هما ركعتا الفجر، وقيل: هما راتبة العشاء، لكن وردت روايات بإطلاق مما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أحيانًا يصلي ثلاث عشرة ركعة.

٢- رواية العشرين ركعة:

وبها قال جمهور العلماء (انظر المجموع للنووي ٣٢/٤، طرح التثريب ٩٧/٣ للعراقي).

عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: "كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة، وكانوا يقرؤون بالمئين (السورة التي تبلغ مائة آية ونحوها)، وكانوا يتوكؤون على عصيهم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه من شدة القيام". (البيهقي في الكبرى ح ٤٢٨٨، وصححه النووي في المجموع ٤/ ٣٢، وفي خلاصة الأحكام ٥٧٦/١، وابن العراقي في طرح التثريب ٩٧/٣، وابن الملقن في البدر المنير ٣٥٠/٤).

وضعفه الألباني فقال عنه: وظاهر إسناده الصحة، ولهذا صححه بعضهم، ولكن له علة بل علل تمنع القول بصحته وتجعله ضعيفًا منكرًا، وبيان ذلك من وجوه: الأول: أن ابن خصيفة هذا وإن كان ثقة، فقد قال فيه: الإمام أحمد في رواية عنه: منكر الحديث، ولهذا أورده الذهبي في الميزان، ففي قول أحمد هذا إشارة إلى أن ابن خصيفة قد ينفرد بما لم يروه الثقات، فمثله يُرَدّ حديثه إذا خالف من هو أحفظ منه، يكون شاذًا، وهذا الأثر من هذا القبيل فإن مداره على السائب بن يزيد كما رأيت، وقد رواه عنه محمد بن يوسف وابن خصيفة، واختلف عليه في العدد، فالأول قال عنه (١١)، والآخر قال (٢٠) والراجح قول الأول؛ لأنه أوثق منه (انظر صلاة التراويح للألباني صـ ٥٧- ٥٩).

قلت: يزيد بن خصيفة: هو يزيد بن عبدالله بن خصيفة بن عبدالله بن يزيد الكندي. وثقه أحمد وأبو حاتم والنسائي وابن سعد وابن حبان وابن عبد البر، وقال عنه ابن معين: ثقة حجة، وقال ابن سعد: كان عابدًا ناسكًا كثير الحديث ثبتًا، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ثقة مأمون، وقال الحافظ ابن حجر: ثقة (انظر تهذيب التهذيب ٣٤١/١١، تقريب التهذيب ت ٧٧٣٨، وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراج حديثه).

وأما قول أحمد فيه في إحدى روايتيه: منكر الحديث، فلا يراد منه تضعيفه، وإنما يقصد أنه

ينفرد عن أقرانه بأحاديث. قلت: لكن رواية يزيد ابن خصيفة لها آثار أخرى تقويها، منها:

١- ما ورد عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر رجلاً يصلي بهم عشرين ركعة (وإسناده مرسل قوي، مصنف ابن أبي شيبة ح٧٦٨٢).

٢. عن عبد العزيز بن رفيع قال: كان أبي بن كعب رضي الله عنه يصلي بنا في رمضان عشرين ركعة... (إسناده صحيح مصنف ابن أبي شيبة ح ٧٦٨٣).

٣. وعن نافع عن بن عمر قال: كان ابن أبي مليكة يصلي بنا في رمضان عشرين ركعة، وابن أبي مليكة تابعي ثقة فقيه أدرك ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وهناك آثار أخرى للمروزي في كتابه (مختصر قيام الليل) عن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين أنهم كانوا يصلون عشرين ركعة وبعضهم يزيد على ذلك (انظر مختصر قيام الليل ص٢٢٠ -٢٢٢).

رابعًا: مسالك العلماء في روايات الإحدى عشرة والعشرين:

من ذهب إلى تضعيف حديث العشرين والآثار الواردة فيها، كالشيخ الألباني يرحمه الله، قال بوجوب الالتزام في صلاة التراويح على الإحدى عشرة ركعة، ورأى أن الزيادة على هذا العدد يعد من البدع (انظر صلاة التراويح للألباني ص٨٦).

ومن ذهب إلى صحة حديث العشرين ركعة والآثار الواردة في ذلك أيَّد ما ذهب إليه بعموم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلاة الليل مثنى مثنى؛ فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة" (متفق عليه).

وذهب جماعة من أهل العلم إلى القول بالجمع، كما قال البيهقي: "ويمكن الجمع بين الروايتين بأنهم كانوا يقومون بإحدى عشرة ركعة ثم كانوا يقومون بعشرين، ويوترون بثلاث" (السنن الكبرى ٦٩٩/٢).

بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية يرى جواز جميع الصور الواردة في صلاة التراويح، وأن الترجيح يكون بحسب أحوال المصلين، وأنه لا حد لعدد ركعات صلاة التراويح، فقال: قيام رمضان لم يوقت النبي صلى الله عليه وسلم فيه عددًا معينًا، بل كان هو صلى الله عليه وسلم لا يزيد في رمضان ولا غيره على ثلاث عشرة ركعة، لكن كان يطيل الركعات، فلما جمعهم عمر رضي الله عنه على أبي بن كعب رضي الله عنه كان يصلي بهم عشرين ركعة ثم يوتر بثلاث، وكان يخف القراءة بقدر ما زاد من الركعات؛ لأن ذلك أخف على المأمومين من تطويل الركعة الواحدة، ثم كان طائفة من السلف يقومون بأربعين ركعة ويوترون بثلاث، وآخرون قاموا بست وثلاثين وأوتروا بثلاث، وهذا كله سائغ، فكيفما قام في رمضان من هذه الوجوه فقد أحسن، والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين، فإن كان فيهم احتمال لطول القيام فالقيام بعشر ركعات وثلاث بعدها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بنفسه في رمضان وغيره هو الأفضل، وإن كانوا لا يحتملون، فالقيام بالعشرين هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين، فإنه وسط بين العشر وبين الأربعين، وإن كان بأربعين وغيرها جاز ذلك، ولا يكره شيء من ذلك، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة كأحمد وغيره، ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد موقت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزداد فيه ولا ينقص فيه فقد أخطأ. (مجموع الفتاوى ٢٧٢/٢٢).

والى ذلك أيضًا ذهب الشوكاني، فقال: والحاصل أن الذي دلت عليه أحاديث الباب وما يشابهها هو مشروعية القيام في رمضان والصلاة فيه جماعة وفرادى، فقصر الصلاة المسماة بالتراويح على عدد معين وتخصيصها بقراءة مخصوصة لم يرد به سنة (نيل الأوطار ٦٦/٣).

وقال الحافظ ابن عبد البر: "وقد أجمع العلماء على أنه لا حد ولا شيء مقدرًا في صلاة الليل، وأنها نافلة، فمن شاء أطال فيها القيام وقلت ركعاته، ومن شاء أكثر الركوع والسجود" (الاستذكار ١٠٢/٢).

قلت: الأمر في عدد صلاة التراويح فيه سَعَة، وبحسب المأمومين وقدرتهم على القيام الطويل في كل ركعة أم لا؟ فلو اقتصرنا على الإحدى عشرة ركعة واعتاد الناس عليها، فلا شك أن ذلك أولى؛ لأنه من غالب فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو زدنا عليها فأرى أن ذلك ليس من البدع، ولا وجه للإنكار على مَن زاد على الإحدى عشرة ركعة، خاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت أنه قد زاد على الإحدى عشرة ركعة أحيانًا، مما يدل على جواز الزيادة، والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

التَّربيةُ في رَمَضانَ

إعداد د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي علّم بالقلم، وصلى الله على نبيّنا محمد المُفرَد العَلَم، وعلى آله وصحابَته أئمّة الهُدَى ومَصابيح الظُّلم، وبعد:

قيمة شهر رمضان بين شهور العام:

فإنّ شهرَ رمضانَ قد عُلم إطْبَاقُ النّاس على تَعْظيم شأنه، وتَفْخيم قَدْره، والتّنْويه بذكْره، فهُوَ في العام الهِجْريّ قُطْبٌ عليه المَدَار، وعمودٌ به يكون القَرَار، وقد أقْبَلَ يَحْدُو ركَابَه مُسْرعًا إليْنا، ويَطْوي الشّهورَ طيًّا ويتَجاوزُ الأزْمِنَةَ عَجلًا حتى يَضَعَ رحالَهُ عنْدَنا، ثمّ يأخُذَ عَصا التّسْيار فيذْهَبُ ويُغَادر، ويَمْضي ويُبَادر، ومَعَ قلّة أيّام رمَضَان وأنها كما قال الله تعالى: «أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ»؛ فإنها فرصةٌ نفيسةٌ لا عوَضَ منها، ولا بَديلَ عنها في إعْدَاد الأنْفس وإصْلاح القُلُوب وتَرْبيَة الأبْدَانِ والجَوارح، وتَزْكية النّفُوس، وإلْف الطّاعة والإقْبَال عليها وإدْمَانها، ومُغَادَرَة المَعْصية وبُغْضها، وحُبّ الخَلْوة بالله تعالى ومُنَاجَاته، ولُزُوم ساعة المُحَاسبَة والمُعَاتَبة لنَفْسه، وتَرْطيبِ اللّسانِ بذكْر الله تعالى، واللّهَج بتلاوة القُرآن.

ولا بُدّ أنْ يعلمَ كلُّ مُسْلم أنّ مَرَاشدَ هذه الأمّة مَعْقُودةٌ على أمْر التّرْبية، لذا اعْتَنَى النبيُّ صلى الله عليه وسلم بتربيَة أصْحابه حتّى صارُوا خيرَةَ الخَلق بعد النّبيّين والمُرْسلين وباتُوا حُجّةً على مَنْ بعدَهُم وقُدْوةً لَهُم وأئمّةً للمُتّقين.

وإذا تَصَفّحْنا الشُّهور لنَرَى مَوَاقعَها منَ التّرْبية ومنازلَها منها وجَدْنا شهرَ رمضانَ أحقَّ بها وأهلَها فلا يَدْفَعُ فضْلَه دَافع، ولا يُنْكرُ رُجْحَانَه على غَيْره منَ الشُّهُور مُنْكَرٌ ولا مَانع.

آثارُهُ تُنبيكَ عَنْ أَخْبارِهِ
حتّى كأنّكَ بالعُيُونِ تَرَاهُ

من فضائل وغنائم رمضان:

فاهْتَبلْ الفُرْصَةَ واظْفَرْ بالغَنيمة بأنْ تتّخذَ منْ رمضانَ مطيّةً إلى الجنّة، وسَبيلًا إلى العتْق من النّار، وبابًا للمَغْفرَة، وفُرْصَةً للفوز بعَظيم الثّوَاب، ومَدْخلًا للوُلُوج على رَبّ العَالَمينَ، واعْلمْ أنّ أحْوَالَ رمضانَ ومَا نرى منَ الاجْتهَاد في أيّامه ولَيَاليه تَقْطَعُ عُذْر

المُتهاون، وتَدُلُّه على ما أَضَاعَ مِنْ حظّه، وتَهْديه إلى رُشْده وصَوَابه، فتأمّل لتَعْرِفَ ما عَرَفَه السّابقون، وذُقْ لتَجِدَ ما وَجَدَه العَامِلون، واعْمَلْ على عدم الفوات؛ فَمَنْ أدْرَكَ رمضانَ ولم يظْفَرْ بمَطْلوبه فقد خسر؛ ففي صحيح ابن خزيمة (١٨٨٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ رَقِيَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «آمينَ، آمينَ، آمينَ»، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللّه، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا فَقَالَ: « قَالَ لِي جِبْرِيلُ: أَرْغَمَ اللّه أَنْفَ عَبْد- أَوْ بَعُدَ- دَخَلَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمينَ...» بل كانَ كعَطْشان وهو في لُجّة البَحْر كما القائل:

كالعِيسِ في البَيْداء يقْتُلها الظّمَا
والماءُ فوقَ ظُهورها مَحْمولُ

من قواعد تربية النفوس في رمضان:

التّربيةُ في رمضان لا تُجْدي ولا تَنْفع مِنْ خُبَّاط عَشْوات يَخْبِطُون خَبْط عَشْواء، ويَمْشُونَ في عَمْياء، ويَرْكَبُونَ الأُمُورَ بجَهالة، ويَسْعَوْن من غَيْر بَصيرة بهَدف ولا مَعْرفَة بغَايَة كأنّهُم عَلَى ضَلاَلَة، وَهَذَا حالُ الّذي يَمْشي إلى غَير غاية ولا مُنْتَهَى لا بُدَّ أنْ يتحيَّر ويَضلّ.

فطالبُ التّربية في رمضانَ يَحْتاجُ إلى خُطّة مَدْرُوسَة ومُقَرّرة قد فُرغ منها ليَأْخذَها مَأْخَذَ الجدّ، ويُلْزِمَها به، ليَسْعى في فكاك رَقَبَته منَ النّار فيَتَحقّق فيه قولُ اللّه تعالى: « وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا » (الإسراء).

أما مَنْ أزْمَنَهُ الكَسَلُ وأمْرَضَه العَجْزُ وأدْرَكَهُ المَلَل، وانغَمَسَ فيها إلى الأذْقَان فَمثْل هَذا أنّى يُفْلح؟! إنه كمَنْ يَعْملُ في غَيْر مَعْمَل، فلا تَسْأَلْ عن اضطراب حَبْل أحْواله وتَتَابُع أهْواله.

أولًا: التّربيةُ على عُلُوّ الهِمّة:

مَنْ رَجَعَ إلى نَفْسه عَلم علْمًا لا يَعْتَرضُه الشّكُّ ولا يَجْهَلُه عَاقلٌ ولا يَخْفى عَلى أحَد منَ النّاس أنّ الهمّة رَأْسُ مَال كلِّ عامل، وأنّ الهِمّة عُنوانُ كلِّ ناجح، وخُلُقُ كلِّ موفّق، وصَفةُ كلِّ مُعانٍ مُسَدَّد، ومَنْ نَظَرَ في سيَر سلَفنا وجَدَ أنّهم بَلَغُوا منَ الهِمّة مُنْتَهاها، ووصَلُوا إلى قمّتها وحقّقُوا منْها القَدْرَ الذي لا مَزيدَ عليْه وانْتَهوا إلى الغَايَة الّتي لا مَذْهَب بَعْدَها، وكان ذَلكَ بالتّربية عليها مُنذُ الصّغَر ورَضَاع لبَانها حتى نَبَتُوا على الجدّ والتّفاني في حُبّ الخَيْر، وإنّما تَفَاوَتَ القَوْمُ بالهِمَم لا بالصُّوَر كما قال ابن القيم.

وأفضلُ ما في عُلُوّ الهِمّة أنّه يَرُدُّ العَوائق، ويُمَزّق العَوائِق، ويَقْطعُ العَلائق، فما عَلقَ وتَعَلّقَ به لا يُضْعفُ سَيْرَه ولا يُثْنيه عَنْ مُرَاده ولا يَصْرفُهُ عَنْ مَطْلُوبه، بَلْ المُؤْمنُ حَقًّا مَن يَجْعَلُ منَ هذه العَوائق والعَلائق سَبيلًا للوُصول إلى ربِّه وذلكَ بالاسْتعانة باللّه عليها، وحُسْن نيّته، وسَلامَة قَصْده، وتَخْليص عبَاداته وعاداته من كل شَائبة وشَوْب، قَال ابن القيم: متى هَمّتْ أقدامُ العزْم بالسُّلوك اندَفع منْ بَيْن أيْديها سَدُّ القَواطع اهـ.

وسَبَبُ ذلكَ أنّ همّةَ المَرْء تُحفّزُه للوُصول إلى الغَرَض، وتَحْدُوهُ إلى بُلُوغ الهَدَف فيَقْتَحم العَقبة، ويتَخطّى الشّدائد، ولا يزال يَسْعى إلى ما يُريدُ حتّى يُصبح ذاكَ السّعي دَيدَنَه وهجيرَاه، فلو جَلَسَ قَعيدًا لأحَسّ بالمَلَل، ولَوْ قَعَدَ فارغًا لَشَعَرَ بالألَم كأنه باشر الزلل، وصَدَقَ اللّه تعَالَى حينَ قَالَ: « وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا » (الإسراء: ١٩).

ومَنْ تدبّر آيات القُرآن الكريم وجدَها تحثُّ على المُسارعة والمُسابقة والمُنافسة وكل هذه من مُحَفّزات الهِمَم ومنْ مُقْتَضَيَات ولَوَازم عُلُوِّها.

قال تعالى: «وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ » (آل عمران: ١٣٣). وقال تعالى «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَات»، وقال أيضًا: « سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ » (الحديد: ٢١). وقال أيضًا: «وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ» (المطففين: ٢٦). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادرُوا بالأعْمَال فتَنًا كَقطَع اللّيْل المُظْلم، يُصْبحُ الرَّجُلُ مُؤْمنًا وَيُمْسي كَافرًا، أَوْ يُمْسي مُؤْمنًا وَيُصْبحُ كَافرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ منَ الدُّنْيَا». (رواه مسلم: ١١٨).

ثانيًا: التربية على شَغْل الوَقْت بالعَمَلِ الصّالح:

مَنْ كان عَلى مُراد اللّه لَمْ يكنْ على مُرَاده من نَفْسه، ومثْلُ هذا العَبْد يُخَالفُ نَفْسَه دَائمًا.

فاشْتَر نَفسَك في أيام الغَنيمة فالسُّوقُ في رمضانَ قائمَةٌ، والثَّمنُ في لَيَاليه مَوْفُورٌ، والبِضَاعةُ رائجَةٌ نافقةٌ، وربّما كانَتْ سَهْلَةَ المَنَال، واغْتَنِمْ قلّةَ أيامه قَبْل أنْ تَمُرّ كالطّيْف فَلَا تُحَصّلْ منها الكَثيرَ ولا القَليل.

واجْعَلْ لكلّ وقتٍ مَا يُنَاسبُه فوَقتُ الصّلاة للصّلاة، ووَقْتُ الذّكْر للذّكْر، ووقتُ الدُّعاء للدُّعاء.

قال ابن القيم: «أنْفعُ الرّبح أنْ تَشْغَل نَفْسَك كلَّ وَقْت بمَا هُو أوْلى بها وأنْفع في مَعَادها» اهـ.

إنّ مَنْ اعْتَادَ الاشْتغَالَ بالعَمَل الصّالح يَعُدُّ الفَرَاغَ غَفْلَةً، ويرى الرّاحَةَ بَطَالَةً لأنّهُ حلْسُ عَمَل، لا حلْسَ غَفْلَة وهَمَل، فتجدُه يهونُ عليْه الدّأبُ والكَلال في الحلّ والارتحال، ويُجْهد النّفسَ ويَبْذُل الأمْوَال، ويَرْكب المَخَاوفَ والأهْوال، وهو فَرِحٌ مَسْرُورٌ؛ لأنّهُ يُؤْمن أنّ الجَاهلَ يُعَوّل على الأمَل، بينما العَاقلَ يَعْتَمدُ على العَمَل، شعارُهُ:

فاعمِلْ لنفسكَ إنْ قَدَرْتَ ولَا تَكُنْ فَرقًا وكنْ حَيْثُ الأمورُ مُسَلّمَا

ثالثًا: لُزُومُ الصّبر حتّى بُلوغ المَنْزل:

قال تعالى: «وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا» (الكهف: ٢٨)، وقال صَلّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَمَنْ يَتَصَبّرْ يُصَبّرْهُ الله، وَمَا أُعْطيَ أحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأوْسَعَ منَ الصّبْر». قال ابن القيم: مَنْ تَلَمّح حَلَاوَةَ الأجْر هانَتْ عليْه مَرَارةُ الصّبر. اهـ.

فمَنْ أرَادَ أنْ تَثْبُت قَدَمُه في الطّاعة فلْيَتَمسّكْ بعَمُود الصّبر، ولْيَعَضّ عليْه بالنّواجذ، فمَنْ صبَرَ على العَوائق ليَتَخَطّاها اسْتَحَالَتْ منَحًا بعْدَما كانَتْ محَنًا، قال ابن القيم: القَوَاطعُ محَنٌ يَتَبَيّن بها الصادقُ منَ الكَاذب فإذا خُضْتَها انقَلَبَتْ أعْوانًا لكَ تُوصلُك إلى المَقْصُود اهـ.

رابعًا: العزلة أو الخلوة:

قال تعالى: «وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» (المزمل: ٨)، وعَنْ أبي سَعيد الخُدْريّ، قَالَ: جَاءَ أعْرَابيٌّ إلَى النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أيُّ النَّاس خَيْرٌ؟ قَالَ: «رَجُلٌ جَاهَدَ بنَفْسه وَمَاله، وَرَجُلٌ في شعْبٍ منَ الشّعَاب: يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ منْ شَرّه» رواه البخاري (٦٤٩٤) والمُرَادُ بالعُزْلَة: اعْتزَالُ النّاس والبعْدُ عنهم في مكانٍ بَعيد، وهذا غيرُ مُمْكن في أكثر الأحوال، فتكونُ الخَلوةُ هي المَخْرج لأنّ الخَلوةَ قد تكونُ والمَرْءُ وسْطَ النّاس فلو اتّخذَ من دُونهم حجابًا واختار مكانًا وهو بَيْنهم لاستَطَاعَ أنْ يخْلوَ بربّه ونَفْسه.

قَال ابن القيم: غَرْسُ الخَلْوة يُثْمر الأُنْس اهـ وهذا كلامٌ دقيق يحتاج إلى قلب رَقيق وفَهْم عَميق؛ لأنّ المَخْلوقَ قدْ تَخْلو به فتَسْتَوْحشَ منه والله سبحانه وتعالى إذا خلوت به أحْسَسْتَ بالأُنْس وأثْمَرَ ذَلك قُرْبًا «وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب» (العلق ١٩).

إنّ العُزْلَةَ في رمضانَ تُشْبه الحَجْر لاسْتصْلاح الأدْيَان الذي هُو أوْلى منَ اسْتصْلَاح الأمْوَال والأبْدَان، منْ أجْل ذلك شُرعَ اعْتكَافُ العَشْر الأوَاخر منْهُ.

خامسًا: الحرْصُ على تَحْقيق المَطْلُوب:

قال تعالى عن بعض أنبيائه: «إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ» (الأنبياء: ٩٠)، وقال صلى الله عليه وسلم: «احْرصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعنْ بالله وَلَا تَعْجَزْ» رواه مسلم (٢٦٦٤). قال ابن القيم: قُوّةُ الطّمَع في بُلُوغ المَأْمُول تُوجبُ الاجْتهادَ في الطّلب وشدّةَ الحَذَر منْ فوْت المَأْمُول اهـ.

واعْلَمْ أنّك مَهْما حَرَصْتَ فلنْ تكونَ حَريصًا طُولَ الوَقْت على الطّاعة بل لا بُدّ منْ طَارئ الغَفْلة وعَارض النّوم والكَسَل.

قَالَ ابنُ القَيم: «لا بُدّ منْ سنَة الغَفْلَة ورُقَاد الهَوَى ولَكنْ كُنْ خَفيفَ النّوم فَحُرَاسُ البَلَد يَصيحُون: دَنَا الصّباحُ».

ودَليلُ الحرْص شدّةُ السّعْي وخَوْفُ فَوَات المَطْلُوب، والنّدَمُ علَى التّقْصير في طَلَبه، والحُزْنُ على ما فَاتَ منْهُ، وكلُّ هَذا يَقَعُ لمَنْ طَلَبَ شَيْئًا منْ دُنْياهُ فَفَاته ومَا أدْرَكه، أو أدْرَكَ بَعْضَه.

وبالله نَسْتَعينُ على إدْراك الصّواب في القَوْل والعَمَل، ونَسْتَعيذُ به من مَوارد الزّلل وهُوَ حَسْبُنا وكَافينا منْ كُلّ أمَل وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

بدء الوحي في رمضان

إعداد د. سعيد صوابي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِه رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ". وكان ابتداء الرؤيا الصالحة في شهر ربيع الأول حين بلغ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ سنَّ الأربعين، واستمرت مدتها ستة أشهر: تمهيدًا لوحي اليقظة وَبَدْءِ نزول القرآن في شهر رمضان من السنة نفسها، وليس معنى ذلك أن الرؤيا الصادقة انقطعت بنزول القرآن؛ بل استمرت مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ بقية حياته ومدة رسالته التي هي ثلاثة وعشرون عامًا، ومازالت كذلك مع سائر المؤمنين، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَمَا كَانَ مِنَ النُّبُوَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يَكْذِبُ" رواه البخاري.

"فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ" فلق الصبح: ضياؤه، ويقال هذا في الشيء الواضح البين.

"ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ" وذلك لما يتبعه من الخلوة والعزلة، وهي مستحبة؛ لما يصحبها من فراغ القلب وخشوعه وإعانته على التدبر، والبعد عن المنكرات، والتأذي

برؤية أصحابها، قال النووي: الخلوة شأن الصالحين، وعباد الله العارفين.

"فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ" جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال: (خمسة كيلو مترات)، عن يسار الذاهب من مكة إلى منى، وهو الآن داخل عمران مكة ويُعرف بجبل النور، قال الحافظ ابن حجر: الذى كان يخلو فيه هو شهر رمضان، وأن قريشًا كانت تفعله، كما كانت تصوم عاشوراء، ولم ينازعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك؛ لأن جده عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش، وكانوا يعظمونه لجلالته، وكبر سنه، فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخلو بمكان جده، وسلَّم له ذلك أعمامه لكرامته عليهم، قال ابن أبي جمرة: "الحكمة من تخصيصه بالتخلي في غار حراء: أن المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة، فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات: الخلوة، والتعبد، والنظر إلى البيت".

"فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، قَالَ: وَالتَّحَنُّثُ: التَّعَبُّدُ" القائل هو الإمام: الزهري يفسر به كلمة: التحنث، وهو تفسيرٌ صحيح مدرجٌ في الحديث؛ لأن أصل الحنث، هو: الإثم، ومعنى يتحنث: يتجنب الحنث، فكأنه بعبادته يمنع نفسه من الحنث، ومثل هذا كثير في كلام العرب، يقال: يتحرج، ويتأثم، ويتقذر، يعنون: تَجنُّبَ الحرج والإثم والقذر.

"اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ" والمعنى: أن الوحيَ نزل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغتة؛ بلا مقدمات، لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن متوقعًا ذلك، ولا مترقبًا له، قال الله تعالى: «وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ» (القصص: ٨٦).

وما وقع من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند مفاجأة الوحى له أول مرة فإنه مثل ما حدث لكليم الله موسى عليه السلام حين أمره ربه بإلقاء العصا "فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ" (طه: ٢٠)، ففرَّ خائفًا كما وصفه الله عز وجل في كلامه العزيز: "فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ" حتى طمأنه الله وآنسه بقوله سبحانه: « يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ » (القصص: ٣١)؛ " قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى " (طه: ٢١)، فهذا الفزع أمر فطري، وشيء طبيعي، لا يُذَمُّ به العبد، ولا يُعاتب عليه، ولا يُنْتَقَصُ به، والله أعلم.

"فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: "اقْرَأْ" فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ" معناه: لا أحسن القراءة، وفيه دليل على أن عائشة رضي الله عنها سمعت هذا الحديث من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس هو من مراسيل الصحابة كما يتوهم، والله أعلم.

"قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ" يقال: غطَّه وغته، أي: ضغطه وعصره، والجُهد بفتح الجيم وضمها: الغاية والمشقة، قال ابن الأثير: الجهد بالضم: الوسع والطاقة، وبالفتح: المشقة، وقيل المبالغة والغاية. وأما حرف الدال في قوله «الْجُهْدَ» فيجوز نصبها ومعناه: بلغ جبريلُ مني الجهدَ، ويجوز رفعها ومعناه: بلغ الجهدُ مني مبلغه وغايته.

«ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: "اقْرَأْ" قُلْتُ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ" فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: "اقْرَأْ" قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: « ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ

وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (العلق: ١-٥).

فكانت هذه الآيات الخمس أوَّلَ ما نزل من القرآن الكريم، وبها بدأت نبوة حبيبنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان ذلك في إحدى ليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان كما قال الله تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ " (البقرة: ١٨٥).

وبالتحديد في ليلة القدر منه، كما ورد التصريح بذلك في قوله سبحانه: "إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ "(القدر: ١-٥).

وكفاها منزلةً وشرفًا وصف الله لها بذلك، كما في قوله جل وعلا: "إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ " (الدخان: ٣-٦).

ولا يعارض هذا حديث جابر المتفق عليه أيضًا الذى نصَّ فيه على أن أول ما نزل: الآيات الأولى من سورة المدثر، وقد عقَّبَ ابن حبان على هذين الحديثين بقوله: "إن أول ما أنزل من القرآن -في خبر جابر "يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ" وفي خبر عائشة: "ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ " (العلق: ١) وليس بين هذين الخبرين تضاد؛ إذ الله عزوجل أنزل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" وهو في الغار بحراء، فلما رجع إلى بيته: دثرته خديجة وصبت عليه الماء البارد، وأنزل عليه في بيت خديجة: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ" الآيات، من غير أن يكون بين الخبرين تهاتر أو تضاد".

وقال السيوطي: إن مراد جابر بالأولية: أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، لا أولية مطلقة، أو أن المراد: أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار، وعبر بعضهم عن هذا بقوله: أول ما نزل للنبوة " اقْـرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" كما في حديث عائشة، وأول ما نزلَ للرسالة: " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ" كما في حديث جابر.

"فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ" فيه إشارة إلى الحال الظاهرة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي انتابتهُ من الفزع، ومعنى ترجف: ترعد وتضطرب، وأصل الرجف: شدة الحركة، والبوادر: جمع بادرة، وهى: اللحمة التي بين المنكب والعنق، تضطرب عند فزع الإنسان، وفى بعض الروايات: "يَرْجُفُ فُؤَادُهُ" وفيه إشارة إلى الحال الباطنة، قال ابن حجر: إسناد الرجفان إلى القلب لكونه محله، وإلى البوادر لأنها مظهره.

"حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" أي: غطوني، ولفوني بالثياب.

"فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيْ خَدِيجَةُ!! مَا لِي؟ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي!" أي: خفت على نفسي، وقد ذكر العلماء اثني عشر قولاً في سبب ذلك الخوف؛ حاصلها: ما ينزل به من مكروه كالمرض ونحوه، ومنها ما يَتَّهمُه الناسُ به كالجنون، وما سوى ذلك من أقوالٍ فعليه اعتراضات.

"فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ، أَبْشِرْ، فَوَاللَّه لا يُخْزِيكَ اللَّه أَبَدًا، فَوَاللَّه إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ" وهو: من لا يستقل بأمره، لضعفه أو لعلة فيه، وأصله من التعب، والإعياء والثقل، والمعنى: إنفاقه على الضعيف واليتيم وصاحب العيال.

فاللهم تقبل منا الصيام والقيام وسائر الأعمال في رمضان، واجعلها متقبلة يا رب العالمين.

رمضان
مبارك عليكم

أحكام السفر

إعداد المستشار/أحمد السيد على إبراهيم
نائب رئيس قضايا الدولة

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمَد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد.

أما بعد: فقد منَّ الله على المسلمين بشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، فرض الله فيه على عباده الصيام، وحثهم على القيام، وقراءة القرآن، وقد يطرأ على المسلمين سفر عارض في الشهر الكريم، فيرخص لهم ما لا يرخص للمقيمين، وهذا ما ستعرفه في هذه المقالة أخي الكريم.

الوقفة الأولى: تعريف السفر:

لغة: أصل السفر: الظهور والبروز، ومنه أسفر الصباحُ إذا لمع، ومنه: سفرت المرأةُ عن وجهها: إذا كشفته وأظهرته، والأصل فيه قوله تعالى: «وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ» (المزمل: ٢٠)، وقوله تعالى: «هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ» (الملك: ١٥).

وجمع السفر: أسفار، قال تعالى: «فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» (سبأ: ١٩).

اصطلاحًا: هو خروج الشخص من عمارة موضع إقامته، فهو مجاوزة العمران، أو الخروج عن محل الإقامة.

الوقفة الثانية: مسافة السفر:

اختلف الفقهاء في مسافة السفر التي يتعلق بها أحكامه على عدة أقوال؛ قال ابن المنذر: «قد ذكر قرابة العشرين قولاً في هذه المسألة»، وأصح هذه الأقوال أن كل ما يطلق عليه عرفًا سفر، تتعلق به أحكامه، فيقصر، ويجمع الصلاة، ويفطر في رمضان... إلخ.

الوقفة الثالثة: مدة السفر

وقد اختلف الفقهاء أيضًا في المدة التي يعتبر فيها المسلم مسافرًا، على عدة أقوال وكل قول في التحديد له وجهته ودليله المعتبر، والخلاف بين أهل العلم قوي، والأحوط ما ذهب إليه جمهور أهل العلم أن من نوى الإقامة ببلد واحد ٤ أيام فأكثر انقطع ترخصه بأحكام السفر، ويدل على ذلك:

- نهي النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين أن يمكثوا بمكة فوق ثلاث؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث للمهاجر بعد الصدر» (رواه البخاري ومسلم)، " كأنه يقول لا يزيد ".

قال ابن حجر رحمه الله في "فتح الباري": «وفقه هذا الحديث: أن الإقامة بمكة كانت حرامًا على من هاجر منها قبل الفتح، لكن أبيح لمن قصدها منهم بحج أو عمرة أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثة أيام لا يزيد عليها، وبهذا رثى النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن خولة أن مات بمكة، ويستنبط من ذلك أن إقامة ثلاثة أيام لا تخرج صاحبها عن حكم المسافر» اهـ.

أما إذا أقامَ المسافر ببلد لحاجة ينتظر قضاءَها ولم يَنْوِ الإقامةَ الدائمة فيه، ولا يعلم متى يرجع مِنْ سفره - أي لم ينو الإقامة أربعة أيام بخلاف يومي السفر والعودة، يريد العودة

وتمتد إقامته بغيرِ إرادتـه- فإنَّ حُكْمَهُ القَصْرُ ولو أقامَ مُدَّةً طويلةً تفوقُ مدَّةَ القَصْرِ. أي: ولو أقامَ سنينَ. ما لم يُصَلِّ وراءَ إمامٍ مُقيمٍ أو يَنْوِ استيطان البلد الذي سافرَ إليه، لأنَّ الإقامةَ لا تخرج عن حكم السفر، سواءٌ طالَتْ أم قَصُرَتْ إذا لم يَسْتوطنِ المكانَ، وذلك لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لم يَحُدَّ الإقامةَ بزمنٍ محدود (لا ثلاثة، ولا أربعة، ولا اثني عَشَرَ، ولا خمسةَ عَشَرَ)، وقد وردَتْ آثارٌ سلفيَّةٌ تشهد لهذا المذهب منها: أنَّ المسلمين أقاموا بـ« نهاوند » ستَّةَ أَشْهُرٍ يَقْصُرُون الصلاةَ مع علْمِهم أنَّ حاجتَهم لا تنقضي في أربعةِ أيَّامٍ ولا أكْثَر، وأقامَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما بأذربيجان ستَّةَ أَشْهُرٍ ؛ أَرْتَجَ عليهمُ الثلجُ، فكان يُصلي ركعتين. (رواه أحمد وحسنه الألباني).

والمعلومُ أنَّ الثلجَ لا يَتحلَّلُ ولا يذوب في أربعة أيَّام، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه أقامَ بـ« نَيْسابورَ » سنةً أو سنتين يُصلِّي ركعتين. (أخرجه الطبراني في معجمه الكبير).

الوقفة الرابعة: أثر السفر على العبادات:

للسفر تأثير على العبادات، فلمشقة السفر رخص الله لعباده رخصًا تتمثل في الآتي:

أولاً: أثر السفر على الصلاة:

١- قصر الصلاة:

يشرع للمسافر قَصْر الصَّلاة الرُّباعية إلى ركعتين، لقوله تعالى: « وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا » (النساء: ١٠١)، وقد تواترت الأخبار أن رسول الله- صلَّى الله عليه وسلم- كان يقصر في أسفاره، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنْ الْمَدينَة إلَى مَكَّةَ فَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعْنَا إلَى الْمَدِينَة». (رواه البخاري ومسلم)، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «صَحِبْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَكَانَ لَا يَزِيدُ فِي السَّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ كَذَلِكَ، رَضِيَ الله عَنْهُمْ.» (رواه البخاري ومسلم)، وقد اختلف العلماء في حكم القصر في السفر، فمنهم من يرى أنه يجب على المسافر أن يقصُر الصلاة، وأن من أتم الصلاة أثم بذلك، وذهب آخرون إلى أن القصر سنة مؤكدة إن شاءَ المسافر صلَّى ركعتين، وإن شاء أتم.

٢- الجمع بين الصلاتين:

فيَجُوز للمسافر أن يجمعَ بين صلاتي الظُّهر والعصر، والمغرب والعشاء جمعَ تقديم، أو جمع تأخير، وسواءٌ في ذلك إذا كان أثناءَ السَّير - أي: راكبًا، أو كان نازلاً في مكانٍ ما للاستراحة من السفر، فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «كانَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ إذَا ارْتَحَلَ قَبْلَ أنْ تَزِيغَ الشَّمْسُ، أخَّرَ الظُّهْرَ إلى وقْتِ العَصْرِ، ثُمَّ نَزَلَ فَجَمع بيْنَهُمَا، فإنْ زَاغَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أنْ يَرْتَحِلَ صَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ رَكِبَ». (متفق عليه)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كانَ رَسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ إذَا عَجِلَ به السَّيْرُ جَمعَ بيْنَ المَغْرِبِ والعِشَاءِ». (رواه البخاري ومسلم).

٣- صلاة النوافل:

النوافل التي يتنفلها الإنسان في السفر تنقسم إلى نوعين:

الأول: ما يتعلق بالصلوات المفروضة، ويتوقت بوقتها، ويقترن بها؛ وذلك كالسنن الرواتب التي تفعل قبل الصلاة وبعدها. فما كان من ذلك النوع، فقد ذكر ابن القيم رحمه الله - في " زاد المعاد " «أن من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقتصار على الفرض، وأنه لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى سنة الصلاة قبلها ولا بعدها إلا ما كان من الوتر وسنة الفجر، فإنه لم يكن ليدعهما حضرا ولا سفرا». اهـ.

دليله: أ- من المنقول: سَافَرَ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عنْهمَا، فَقالَ: «صَحِبْتُ النبيَّ صَلَّى اللهِ عليه وسلَّمَ فَلَمْ أرَهُ يُسَبِّحُ في السَّفَرِ، وقالَ اللَّه جَلَّ ذِكْـرُهُ: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: ٢١). (رواه البخاري ومسلم).. ومراده بالتسبيح: التنفل بالرواتب، وذلك أن الرباعية قد خففت إلى ركعتين، تخفيفا للمسافر.

ب- من المعقول: إذا كان التخفيف بترك بعض الصلاة المفروضة، فترك راتبتها من باب أولى، ولهذا قال ابن عمر: «لو كنت مسبحا لأتممت»

(رواه مسلم).

الثاني: النوافل المطلقة: مثل قيام الليل، وصلاة الضحى، وسجدة التلاوة، وسجدة الشكر، وصلاة الحاجة، ونحو ذلك فلا بأس بفعلها في السفر. وقد سئل الإمام أحمد عن مثل هذا فقال: أرجو ألا يكون بالتطوع في السفر بأس.

٤- صلاة الجمعة:

أجمع أهل العلم على أن الجمعة لا تجب إقامتها على المسافرين، قال ابن هبيرة رحمه الله في "اختلاف العلماء": «واتفقوا على أن الجمعة لا تجب على صبي ولا عبد ولا مسافر ولا امرأة، إلا رواية عن أحمد في العبد خاصة.» اهـ. وقال ابن عبد البر - رحمه الله - في "الاستذكار": «وأما قوله: (ليس على مسافر جمعة) فإجماع لا خلاف فيه.» اهـ. وقال ابن المنذر - رحمه الله - في "الأوسط": «ومما يحتج به في إسقاط الجمعة عن المسافر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مرّ به في أسفاره جُمَعٌ لا محالة، فلم يبلغنا أنه جَمّع وهو مسافر، بل قد ثبت عنه أنه صلى الظهر بعرفة وكان يوم الجمعة، فدلّ ذلك من فعله على أن لا جمعة على المسافر، لأنه المبين عن الله عز وجل معنى ما أراد بكتابه، فسقطت الجمعة عن المسافر استدلالًا بفعل النبي صلى الله عليه وسلم.» اهـ. واختلفوا في صحتها من المسافرين إذا صلوها بأنفسهم وليس معهم غيرهم من أهل البلاد، وجمهور أهل العلم على عدم انعقادها وصحتها.

٥- أثر السفر على الصيام:

رخّص الله سبحانه وتعالى للمسافر الفطر في رمضان، وذلك لقوله تعالى: «وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» (البقرة: ١٨٥)، وعن أنس بن مالك في رجل من بني عبد بن كعب رضي الله عنه قال: «أغارت علينا خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يتغدى فقال: ادن فكُل، فقلت: إني صائم، فقال: ادن أحدثك عن الصوم أو الصيام، إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة». (رواه الترمذي وقال عنه الألباني: حسن صحيح)، وعن عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام، فقال: إن شئت فصم وإن شئت فافطر.» (متفق عليه)

حكم الفطر لمن كان سفره دائمًا:

كالسائق المسافر من بلد إلى بلد، فهذا يفطر ولو كان سفره مستمرًا، لأنه لا وطن له يأوي إليه، ويجوز له الصيام في الشتاء، أو إذا عاد إلى بلده.

الواجب على من أفطر بعذر السفر:

يجب عليه قضاء ما أفطره، لقوله تعالى: «فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» (البقرة: ١٨٤) ولا فدية عليه.

٦- أثر السفر في المسح على الخفين:

يرخص للمسافر أن يمسح على الخفين ثلاثة أيام ولياليهن، فعن شُرَيح بن هانئ قال: «أتيتُ عائشةَ أسألُها عن المسحِ على الخفَّين، فقالت: عليكَ بابنِ أبي طالب، فسلْه، فإنَّه كان يسافرُ مع رسولِ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، فسألْناه، فقال: جعَل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ثلاثةَ أيَّـام ولياليهنَّ للمسافِر، ويومًا وليلةً للمُقيم.» (رواه مسلم).

ثانيًا: أثر السفر على زكاة الفطر:

١- أداء زكاة الفطر عن المسافر:

جاء في المدونة: «في إخراج المسافر زكاة الفطر قلت: ما قول مالك فيمن هو من أهل إفريقية وهو بمصر يوم الفطر أين يؤدي زكاة الفطر؟ قال: قال مالك: حيث هو، قال مالك: وإن أدى عنه أهله بإفريقية أجزأه» اهـ..

٢- أداء زكاة الفطر من معيشة المسافر:

أجاب الشيخ ابن باز - رحمه الله - في "فتاوى نور على الدرب" عن سؤال يقول: أنا رجل مقيم في المملكة ولي أسرة في السودان هل أفطر هذه الأسرة من معيشة السودان أم من معيشة السعودية؟ بقوله: «من معيشة السعودية أولى لأنك تقيم فيها من قوتك أنت، ولو كفرت ولو أطعمت بما يعيش في السودان كأن تكون عيشتهم الذرة أو الرز فلا بأس، لكن كونك تفطر من معيشتك أنت أولى» اهـ..

والله الموفق.

صيام رمضان بين زوج متسلط وزوجة جاهلة

الحلقة الأولى

إعداد: جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعدُ؛

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وهو الأعلم بما خلق، وبما أودع فيه من فطرة وغريزة، وفجور وتقوى، وهو الأعلم سبحانه بأدواء هذه النفوس وآفاتها، وما تحبه وما تكرهه في كل أطوار حياتها، كذلك فهو الأعلم جل وعلا بما يصلحها وما يفسدها، لذا كان لزامًا لمن أراد أن يورد نفسه موارد السعادة دنيا وآخرة؛ أن يتحرى منهج الصانع سبحانه؛ القيوم القائم على كل نفس بما كسبت.

وباتباع منهج الله سبحانه وتعالى لمن أراد تأسيس الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم فسيكون الأساس متينًا، والبناء متماسكًا مستقيمًا، والمجتمع قويًا راقيًا، يكفل للأسرة السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة.

ولقد فرض الله صيام شهر رمضان لما في الصيام من تهذيب الأخلاق وتقويم السلوك، والتزود بخير الزاد؛ تقوى الله رب العباد، قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ » (البقرة: ١٨٣).

ولا شك أن سمة الشهر الكريم، وطبيعته وخصوصيته، أن يربي في النفس البشرية انكسارًا وتواضعًا، وتنحيًا عن الشرور وتراجعًا، كل ذلك يحدث لمن صامه إيمانًا واحتسابًا، وقامه راجيًا من الله تعالى أجرًا وثوابًا.

لكن أناسًا-هدانا الله وإياهم- دخلوا رمضان بأخلاق غير حميدة، فالله أعلم ماذا استفادوا بصيامهم. لعله فقط الجوع والعطش، فضلًا عن انتهاك حرمة الشهر بما التزم به هؤلاء من الشقاق وسوء الأخلاق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». (رواه البخاري في صحيحه ح١٩٠٣).

وليس معنى عدم انتفاعه بصيامه ألا يصوم، بل مفروض عليه الصوم، كما فُرض عليه البعد عن قول الزور والعمل به.

قال ابن بطال رحمه الله تعالى (٢٤/٤): قال المهلب: فيه دليل أن حكم الصيام الإمساك عن الرفث وقول الزور، كما يمسك عن الطعام والشراب، وإن لم يمسك عن ذلك فقد تنقص صيامه وتعرض لسخط ربه وترك قبوله منه، وقال غيره: وليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه إذا لم يدع قول الزور، وإنما معناه التحذير من قول الزور، وهذا كقوله، عليه السلام: (من باع الخمر فليشقص الخنازير) رواه أبو داود وضعفه الألباني، أي يذبحها، ولم يأمره بشقصها، ولكنه على التحذير والتعظيم لإثم شارب الخمر، فكذلك حذر الصائم

من قول الزور والعمل به ليتم أجر صيامه، فإن قيل: فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (فليس لله حاجة)، والله لا يحتاج إلى شيء؟ قيل معناه: فليس لله إرادة في صيامه فوضع الحاجة موضع الإرادة.

الرجل المتسلط:

الرجل المتسلط هو الرجل الذي يعطي نفسه الحق في اتخاذ القرارات عن زوجته، واختيار تصرفاتها، ويقلل من آرائها وإنجازاتها، وهو هذا الرجل الذي يتحول من اللين إلى الشدة، ولا يشعر بالذنب إزاء ما يسببه من ألم معنوي لزوجته. فالرجل المتسلط باختصار هو الرجل المحب للسيطرة والتحكم بكل الأمور المتعلقة بمنزله وزوجته وأولاده.

فكيف يكون حال هذا مع زوجته إذا سألته بعض الحاجات الرمضانية أو أنها أرادت دعوة أهلها أو أقاربها للإفطار معهم يوما في رمضان؟

صفات الزوج المتسلط:

١- من صفات الرجل المتسلط: حب العزلة وتفضيلها على الاختلاط الإيجابي المفيد له ولغيره، بحيث يتمنى لو عاش بزوجته معزولين في نفق ولو كان النفق مظلمًا.

وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم».

وقال الأحنف بن قيس: الكلام بالخير أفضل من السكوت، والسكوت خير من الكلام باللغو والباطل، والجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧ / ٤٤٧).

والمتسلط فضّل السكوت على الكلام بما هو خير، فلما تكلم نطق باللغو والباطل، وفضّله على الكلام بالخير، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم. وبالتالي فكيف لهذا ومتى يعلم أولاده بعض أحكام الصيام أو يجمعهم ليستمعوا إلى درس وعظي؟

٢- من صفات المتسلط: محاولة فرض رأيه على زوجته وعلى غيره، ويبذل في ذلك جدلاً عقيمًا لا ينتج شيئًا ولا يوصل إلى شيء.

ومثل هذا في واقع الحياة الزوجية يحاول أن يُلزم زوجته بطريقته ولو كانت مملة، ويسعى في أن يدوس امرأته تحت عجلات طبعه، ومهما أقنعوه بفساد رأيه لم يجد إلا أن يقول أنا طريقتي كذا...، أنا لا أحب كذا...، أنا أحب أن تكون زوجتي كذا.... ويصادر طباعها وكل ما جُبلت عليه، ويهدر مشاعرها وأحاسيسها، ولا يسعى للتوفيق بين رغباتها ورغباته، وطباعها وطباعه، لكن هو وفقط!! فأين التقوى التي اكتسبها من صيام ذلك الشهر الكريم ؟

والله تعالى يقول: «ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا » (الأحزاب/٥١). فإرضاء الزوجات مطلب زوجي.

٣- الغيرة الزائدة وفي غير موضعها، بل التناقض في مواقف الغيرة، فربما غار على زوجته من بعض المحارم، ولم تأخذه الغيرة من بعض الأجانب، مادام على هواه وطريقته، والله تعالى يقول: «ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ » (المائدة/٨).

٤- التعامل بنوع من العلو والفوقية: وذلك ناتج عما تقدم من الصفات، وإذا غضب خاصم وأهان، وتعمد التجريح والتسفيه للمخالف. وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل» متفق عليه .

٥- يدعي العلم والثقافة الشرعية: وهو لا يمتثل للشريعة في مجال علاقته مع زوجته وأهلها، ولذلك لا يحب مجالس العلماء إذا كانت ستنصحه وتراجعه وتُخَطِّئُه إذا بدا منه الخطأ، ولا يحب التحكيم من أهل العلم زاعمًا أنه لا يحب إطلاع أحد على أسراره، ولا أن يتدخل أحد في شؤونه.

٦- لَحُوحٌ في صغائر الأمور إلحاحه في كبائرها: وهذا يدعوه إلى كثرة العتاب واللوم والمراجعة، وتراه يبتسم لكنها ابتسامة صفراء، لا تعبر عن سعادة ولا رحمة وإنما هي الخفة والسذاجة والطيش، فكيف تتحمله تلك الزوجة المسكينة؟. وقد قال الله تعالى عن نبيه عليه الصلاة والسلام: « وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ

عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ » (التحريم/٣). والمعنى: إذا عاتب الزوج زوجته لا يكون كثير العتاب على ما يستحق وما لا يستحق، وإنما يتغاضى عن بعض ما يُصبر عليه، ولا يضر السكوت عنه.

٧- كثير التدخلات فيما يعنيه وما لا يعنيه: فهو إذا دخل المطبخ على زوجته ربما نظر في سلة قمامة وقال لها: لو وضعت قشر البيض تحت قشر الموز لكان أفضل، فإذا فتح الثلاجة ربما قال لها: لو وضعت الطماطم جهة الشمال، والجوافة يمينًا لكان أفضل في الشكل، وهكذا، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ». فللمرأة عملها وللرجل عمله.

٨- يدعي أنه دائمًا على حق وأنه متعجب من أمر غيره لماذا لا يطيعه ويستسلم لأفكاره؛ خاصة إذا كانت زوجته، وهو بهذا الفكر يطالبها بطاعة زوجها على أن هذا من فروض الله عليها، فهل مثل هذا سيعمر بيتًا، أو يربي ولدًا، أويُبقي ظهرًا؟.

٩- أناني يحب نفسه، وعنيد يرهق غيره، وقد قال صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » متفق عليه.

١٠- عنده عصبية شديدة ومفرطة، ويلتمس لنفسه الأعذار في أخطائه بدعوى أنه بشر، وليس مَلَكًا، وعصبي، وعلى زوجته أن تصبر عليه لأنه عصبي، لكن أن يصبر هو عليها فهذا لا يليق من وجهة نظره.

التعامل مع الزوج المتسلط

- أولاً: الصبر الجميل:

جعل الله سبحانه وتعالى الصبر حلًا لمعضلات كثيرة، خاصة إذا صبر الإنسان من أجل الله جل وعلا. الذي قال في كتابه الكريم:« وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ » (النحل/١٢٦، ١٢٧). وبالصبر يتحقق النصر والأجر في الدنيا والآخرة. كما قال سبحانه: » إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ الله لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» (يوسف/٩٠). ولابد من التحلي بالصبر لقول النبي صلي الله عليه وسلم «فإن سابه أحد فليقل إني صائم .. إني صائم» متفق عليه.

ثانيًا: إظهار الود والرضا ولو كانت القناعة غير ذلك:

- فعلى الزوجة أن تتحلى بالهدوء والصبر والحكمة، خصوصاً إن كان زوجها في حالة غضب، لتتمكن من استيعاب هوى زوجها واستجلاب رضاه. كما أن التبسم مع الصمت؛ وتقليل الجدال والحوار يُنهي موقف التسلط في وقت قصير.

ثالثًا: الحكمة في التعامل مع المستجدات:

والله تعالى يقول:« وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا » (البقرة/٢٦٩).

فالثناء على الزوج بشيء هو فيه، يستل سخيمة صدره، ويقلل من عنفوانه وتسلطه، وحينئذ تستطيع الزوجة أن تتعامل مع زوجها بيسر وسهولة.

رابعًا: اللجوء إلى الله تعالى بتقوى الله ودعائه:

والله تعالى يقول: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (البقرة/١٨٦). وقال تعالى:«وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (غافر/٦٠). وقال جل وعلا: «وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا » (الطلاق/٢،٣).

هذا إذا كانت الزوجة تريد أن تعيش عيشة هادئة، وتصوم شهرها صيامًا لا لغو فيه ولا رفث، ولا فسق فيه ولا جهل. وتعرف أن الحياة الدنيا لا تصفو كثيرًا لسكانها، وأن الله تعالى إن كان قد ابتلى في ناحية فلقد عافى في جوانب كثيرة، وأن نعمه على العباد لا تحصى ولا تعد، وأن الحياة الهنيئة الرغدة الخالصة من كل المنغصات والمكدرات إنما هي في الجنة فقط، ولمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون؛ إذا علمت الزوجة كل هذا وعملت بمقتضاه، فإن كل شدة ستهون، وكل بلاء سينكشف ويزول، ودوام الحال من المحال. عندها ستبتسم الحياة، وتقل فيها الشدة والمعاناة. وسيتفرغ الأزواج لعبادة الله.

أما إذا كانت الزوجة بدورها جاهلة أو عنيدة أو مستهترة ومستفزة فإن الخطر سيتفاقم، والحياة ستسير كئيبة، وتنتقل من سيء إلى أسوأ، وهذا مجال حديثنا في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٢٦)

قصة مفتراة في تفسير قوله تعالى: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ)

إعداد علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كُتب السنة المسندة، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- إنَّ هذه القصة لا تليق بأخلاق خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم صاحب أعظم خلق المخاطب من الله عز وجل بقوله تعالى: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم:٤)، وكأن الخلق العظيم أصبح مطية ذلولاً اعتلاها النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- وإن تعجب فعجب أنك ترى في هذه القصة التي سنكشف عارها ونبين عوارها، ولقد نبَّه الإمام ابن القيم في كتابه «زاد المعاد» (٢٤٤/٤) على جهل هؤلاء الوضاعين، فقال: «وأما ما زعمه بعض من لم يُقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق قدره أنه صلى الله عليه وسلم ابتلي بالعشق في شأن زينب بنت جحش، وأنه رآها فقال: «سبحان مقلِّب القلوب». وأخذت بقلبه، وجعل يقول لزيد بن حارثة: أمسكها، حتى أنزل الله عليه: « وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ » (الأحزاب:٣٧).

ثم يقول الإمام ابن القيم: «فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن العشق، وصنف بعضهم كتابًا في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن والرسل، وتحميله كلام الله ما لا يحتمله، ونسبته رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما برأه الله منه». اهـ.

قلتُ: إن هؤلاء الكذابين الوضاعين لا يخفون على الله، ولقد هيَّأ الله من أهل الصناعة الحديثية من يكشف عارهم ويبين عوارهم.

٣- وإن وجود مثل هذه القصة في كُتب السنة الأصلية، تجعل الحاقدين ومَن في قلوبهم مرض من المستشرقين والوجوديين، وكل مَن قلدهم، وسار في فلكهم ممن غرَّهم بريق الثقافة الغربية يفتري على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم بمثل هذه القصص، بل أصبحت لهم برامج في بعض القنوات،

ومن جهلهم يذكرون كُتُب السنة التي توجد بها هذه القصص، ويظنون أنهم على شيء. وذلك لعدم درايتهم بالصناعة الحديثية لا يفرِّقون بين التخريج والتحقيق، فيتوهمون من مجرد العزو لإمام من أئمة الحديث الصحة، ولا تلازم بينهما إلا إذا كان العزو للإمامين البخاري ومسلم في صحيحيهما أو أحدهما، أما العزو لغيرهما فلا بد من التحقيق لمعرفة المقبول من المردود، وهي ثمرة علم الحديث التطبيقي.

ثانيًا: المتن:

رُوِيَ عن محمد بن يحيى بن حبان، قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه، وكان زيد إنما يقال له زيد بن محمد، فربما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول: «أين زيد؟» فجاء منزله يطلبه فلم يجده، وتقوم إليه زينب بنت جحش زوجته فُضُلاً، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول الله فادخل بأبي أنت وأمي، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل، وانما عجلت أن تلبس لما قيل لها: رسول الله صلى الله عليه وسلم على الباب فوثبت عَجْلَى، فأعجبَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فولَّى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يُفْهَم منه إلا: سبحان مصرِّف القلوب، فجاء زيد إلى منزله، فأخبرته امرأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى، قال: فسمعت شيئًا؟ قالت: سمعته يقول حين ولى تكلم بكلام لا أفهمه، وسمعته يقول: سبحان الله العظيم، سبحان مصرِّف القلوب، فجاء زيد حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهلا دخلت؟ بأبي وأمي يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك، فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم، فيأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره، فيقول رسول الله: أمسك عليك زوجك، فيقول: يا رسول الله أفارقها، فيقول رسول الله: احبس عليك زوجك، ففارقها زيد واعتزلها وحلت-يعني انقضت عدتها- قال: فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة، إلى أن أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غشية، فسُرِّي عنه وهو يبتسم وهو يقول: من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله قد زوَّجنيها من السماء؟ وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ » (الأحزاب:٣٧)، القصة كلها.

فائدة: حول غريب الحديث:

قوله: «وتقوم إليه زينب بنت جحش زوجة زيد فُضُلاً».

قال الإمام ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (ص٧١٠) ط دار ابن الجوزي: «فُضلاً أي: متبذلة في ثياب مهنتها. يقال: تفضلت المرأة: إذا لبست ثياب مهنتها أو كانت في ثوب واحد». اهـ.

ونقل هذا المعنى ابن منظور في «لسان العرب» (١٢١/٧).

ثالثًا: التخريج:

١- الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الحافظ محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهم البصري المتوفى سنة ثلاثين ومائتين عن اثنتين وستين سنة، نزيل بغداد، وكاتب الواقدي في كتابه «الطبقات الكبرى» (٢٩٥/٨) قال: «أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي، عن محمد بن يحيى بن حبان قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه...» القصة.

٢- وأخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في «المستدرك على الصحيحين» (٢٣/٤) من طريق محمد بن عمر الواقدي شيخ ابن سعد قال: حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي بمثله.

رابعًا: التحقيق:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة علته محمد بن عمر:

١- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٦٠٩٠/٩٧/١٧):

«محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي أبو عبد الله المدني قاضي بغداد مولى عبد الله بن بريدة الأسلمي، روى عنه كاتبه محمد بن سعد وولاه المأمون القضاء فلم يزل قاضيًا حتى مات ببغداد ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع ومائتين وهو ابن ثمان وسبعين سنة، وذكر أنه ولد سنة ثلاثين ومائة». اهـ.

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٩٠/٢): «محمد بن واقد الواقدي الأسلمي كان ممن يحفظ أيام الناس وسيرهم، وكان يروي عن الثقات المقلوبات، وعن الأثبات المعضلات حتى ربما سبق إلى القلب أنه كان المتعمد؛ لذلك كان أحمد بن حنبل يكذبه».

٣- وأخرج ابن حبان بسنده قال: سمعت محمد بن المنذر، سمعت عباس بن محمد، سمعت يحيى بن معين يقول: «الواقدي ليس بشيء».

٤- وأخرج ابن حبان أيضًا بسنده قال: أخبرني محمد بن عبد الرحمن: سمعت أبا غالب بن بنت معاوية بن عمرو: سمعت علي بن المديني يقول: «الواقدي يضع الحديث». اهـ.

٥- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢١/١/٤): «سألت أبي عن محمد بن عمر الواقدي المديني فقال: متروك الحديث».

٦- ولقد بيَّن الإمام ابن أبي حاتم أن أئمة الجرح والتعديل اختبروا حديث الواقدي فنقل عن الإمام يحيى بن معين (١٥٨- ٢٣٣) أنه قال: «نظرنا في حديث الواقدي فوجدنا حديثه عن المدنيين عن شيوخ مجهولين أحاديث مناكير، فقلنا يحتمل أن تكون تلك الأحاديث المناكير منه، ويحتمل أن تكون منهم، ثم نظرنا إلى حديثه عن ابن أبي ذئب ومعمر فإنه يضبط حديثهم فوجدناه قد حدث عنهما بالمناكير فعلمنا أنه منه فتركنا حديثه».

٧- ثم قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم: «سألت أبا زرعة عن محمد بن عمر الواقدي فقال: ضعيف. قلت: يُكتب حديثه؟ قال: ما يعجبني إلا على الاعتبار ترك الناس حديثه». اهـ.

٨- وقال الإمام ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي: «كتب الواقدي كذب». اهـ.

٩- وأخرج الإمام ابن أبي حاتم عن الإمام إسحاق بن راهويه قال: «الواقدي هو عندي ممن يضع الحديث». اهـ.

١٠- وقال الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٥٣١): «محمد بن عمر الواقدي: متروك الحديث». اهـ.

١١- وقال الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» (١٧٨/١/١): «محمد بن عمر الواقدي مدني قاضي بغداد: سكتوا عنه».

١٢- وأخرج الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٦٦٦/١٠٧/٤) بالأسانيد عن الأئمة أقوالهم في الواقدي: فقال الإمام علي بن المديني: «لا أرضاه في الحديث، ولا الأنساب، ولا في شيء». اهـ.

وقال ابن المديني أيضًا: «روى الواقدي ثلاثين ألف حديث غريب».

فائدة: قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١٨٢/٢): «قال أحمد بن حنبل: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء». وقال مالك: «شر العلم الغريب»، وقال أبو يوسف: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب»». اهـ.

١٣- وقال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٤١/٦): «أحاديث الواقدي غير محفوظة وهو بيِّن الضعف والبلاء منه». وقد أخرج من أئمة الجرح والتعديل بأسانيده إليهم: فعن يحيى بن معين قال: «الواقدي ليس بثقة، وليس بشيء». اهـ.

١٤- ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٩٩٣/٦٦٢/٣) أقوال أئمة الجرح والتعديل التي خرجناها وأقرها، وتبين منها أن محمد بن عمر الواقدي كذَّاب يقلب الأسانيد، ليس بثقة وليس بشيء، متروك الحديث، يضع الحديث أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه يروي

آلاف الأحاديث كلها غرائب».

خامسًا: الاستنتاج:

نستنتج مما أوردناه آنفًا أن هذه القصة واهية ومفتراة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ وضعها الواقدي الكذاب الوضاع، فالحديث الذي جاءت به هذه القصة موضوع، وهذا المصطلح بيّن حدّه الإمام السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١) النوع (٢١) فقال: «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شرّ الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء في الأحكام، والقصص، والترغيب، وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

قلتُ: وكما بينا آنفًا أن الواقدي: كذاب ليس بثقة يضع الحديث أحاديثه غرائب غير محفوظة والبلاء منه، ولذلك ركزنا على بيان أمره مع أن هناك علة أخرى نبينها بغير إسهاب تزيد القصة وهنًا على وهن.

سادسًا: علة أخرى:

وفي هذا الخبر الموضوع علة أخرى وهي عبد الله بن عامر الأسلمي الذي روى عنه محمد بن عمر الواقدي كما بينه الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٣٣٣٧/٢٤٨/١٠)، وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٣٩٤/٤٤٨/٢): «ضعفه أحمد والنسائي، والدارقطني، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري يتكلمون في حفظه، وسئل عنه ابن المديني فقال: ذاك عندنا ضعيف ضعيف». اهـ.

سابعًا: علة ثالثة:

وفي هذا الخبر الموضوع علة ثالثة وهي السقط في الإسناد؛ حيث إن محمد بن يحيى بن حبان الذي روى هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن صحابيًا بل لم يكن من الطبقة الكبرى من التابعين ولا من الطبقة الوسطى من التابعين؛ حيث بين ذلك الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢١٦/٢) فقال: «محمد بن يحيى بن حبان من الرابعة»، قال الحافظ في «مقدمة التقريب»: «الرابعة: طبقة تلي الطبقة الوسطى من التابعين جُلّ روايتهم عن كبار التابعين». وبهذا يتبين السقط حيث رواه هذا التابعي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبه يصبح الخبر من نوع «المرسل» قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤١): «المرسل ما سقط من آخره من بعد التابعي». وبهذا يصبح الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية المفتراة على النبي صلى الله عليه وسلم باطلة مسلسلة بالعلل.

ثامنًا: الصحيح الثابت في الآية:

لقد بوّب الإمام البخاري بابًا في «صحيحه» الكتاب (٦٥) «التفسير» الباب (٦) باب «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ»، ثم ذكر البخاري في هذا الباب حديثًا واحدًا (ح٤٧٨٧) قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا معلى بن منصور، عن حماد بن زيد، حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن هذه الآية «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة». اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣٨٤/٨): «والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي صلى الله عليه وسلم، هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنّي، بأمر لا أبلغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يُدعى ابنًا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين، ليكون أدعى لقبولهم». اهـ.

هذا هو التدبر الحق للآية، «قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ» (الذاريات:١٠، ١١)، هؤلاء الكذابون الذين يغمرهم الجهل ليفسّروا هذه الآية بقصة مكذوبة موضوعة مفتراة على أطهر من مشى على الأرض؛ فقد زكّى الله بصره، فقال: «مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ» (النجم:١٧)، وزكّى فؤاده فقال: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ» (النجم:١١).

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

رمضان وثبة وانطلاقة

إعداد
د. ياسر لمعي عبدالمنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
المساعد جامعة غينيا العالمية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

من حسن إسلام المرء مراجعة أحواله، وصيانة قلبه وقياس إيمانه؛ إذ ما يمكن قياسه يمكن تقييمه وتقويمه فنحن على أشكال وأقسام.. قال تعالى: « ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ » (فاطر: ٣٢). ذكر بعض المفسرين أن المصطفين هنا على ثلاثة أقسام:

الأول: الظالم لنفسه وهو الذي يطيع الله، ولكنه يعصيه أيضاً.

والثاني: المقتصد وهو الذي يطيع الله، ولا يعصيه، ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات.

والثالث: السابق بالخيرات وهو الذي يأتي بالواجبات، ويجتنب المحرمات، ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات غير الواجبة.

(ثم وعد الجميع بجنات عدن وهو لا يخلف الميعاد في قوله: « جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ » (الرعد: ٢٣).

وعليه يجب علينا جميعاً أن نأخذ قراراً بقفزة ووثبة وانطلاقة من رمضاننا المبارك تكون انطلاقة جماعية.. لكن لمَ جماعية؟

لأن العبد سيكولوجياً يرتبط بجماعته بأهله بموطنه بقومه، كذلك ارتبط تحرك العبد وقراره بالزمان والمكان.

مثال أحدهم يريد التوبة أو يريد أن يبدأ حياة جديدة ثم يسوف ويؤجل متى يذهب للعمرة، أو يؤجل توبته، أو انتظامه للزمان، مثل رمضان، أو يبدأ صلاته من الفجر، أو من خطبة الجمعة.

لذا إرصاداً للموقف وقراءةً في الواقع وتنازلاً في الحوار مع إخواننا الكرام ها قد جاءتكم نفحة من الله: (إنَّ لرَبِّكُمْ في أيَّام دَهْرِكُم نَفَحَاتٌ فَتَعَرَّضُوا لَه، لَعَلَّهُ أنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا فَلَا

تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أبداً)، فالله نسأل أن تصيبنا هذه النفحة المباركة.

يا أيها الناس، إنه قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، فيه ليلة خير من ألف شهر، فرض الله صيامه، وجعل قيام ليله تَطوُعاً شهر الصيام، شهر العبادة، شهر سمو الروح ونقائها، يوشك أن تصبحوا غداً صائمين.

فهل أعددتم العدة لاستقباله؛ فحاسبتم أنفسكم على ما أسلفتم من خير، تحمدون الله عليه، وتسألونه التوفيق إلى المزيد منه، أو شرَ تأسفون عليه، وتتوبون وتستغفرون الله منه، وتسألونه أن يحفظكم من العودة إليه.

وهنا يطيب لي أن أنقل لإخواني بعض تراتيب رمضان:

فمنها الدعاء أن يبلغنا رمضان إنه شهرُ رمضان المبارك، الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشِر صحابتَه بقدومه، فيقول لهم: «أتاكم رمضانُ، شهرٌ مبارك، فرَضَ الله -عز وجل- عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب السماء، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُ فيه مَرَدة الشياطين؛ لله فيه ليلةٌ هي خيرٌ من ألف شهر، من حُرِمَ خيرها فقد حُرم».

فهنيئاً لمن أدرك رمضان، وبُشرى لمن بلَّغه الله رمضانَ، قال ابن رجب: "كيف لا يُبشَّر المؤمنُ بفتح أبوابِ الجنان؟! كيف لا يبشر المذنب بغلق أبوابِ النيران؟! كيف لا يبشر العاقل بوقت يُغَلُّ فيه الشيطان؟! من أين يشبه هذا الزمانَ زمانٌ؟!".

قال ابن رجب: "بلوغُ شهر رمضان وصيامُه نعمةٌ عظيمة على مَن أقدره الله عليه، ويدلُ عليه حديث الثلاثة الذين استُشهد اثنان منهم، ثم مات الثالث على فراشه بعدهما، فَرُئِيَ في النوم سابقاً لهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أليس صلى بعدهما كذا وكذا صلاةً، وأدرك رمضان فصامه؟ فو الذي نفسي بيده، إن بينهما لأبعدَ مما بين السماء والأرض)".

فمن فضْل الله عليك، ومحبته لك: أنْ نَسَأَ في حياتك، حتى تتزوَّد من خير رمضان هذه السنة؛ « قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » (يونس: ٥٨)، فلا يظفر بنعمة إدراك رمضان، والاغتراف من خيراته، إلا المبشَّرون برحمة الله.

كيف لا؟ إنه شهر القرآن الكريم؛ قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ » (البقرة: ١٨٥). قال ابن كثير: "يمدح - تعالى - شهرَ الصيام من بين سائر الشهور، بأنِ اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم".

قال صلى الله عليه وسلم:(من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه) متفق عليه. فرمضانُ محرقةٌ للذنوب، ومطهرةٌ من الآثام؛ قال -صلى الله عليه وسلم-: (الصلواتُ الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضان، مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر).

قال القرطبي: "قيل: إنما سمي رمضان؛ لأنه يَرمَض الذنوب؛ أي: يحرقها بالأعمال الصالحة".

هذا وخلصنا إلى ضرورة استقبال رمضان بنفس مشرقة وحياة جديدة وصُلح مع: الله سبحانه وتعالى بالتوبة الصادقة.

قال الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ » (البقرة: ٢٢٢).

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ » (التحريم: ٨).

قال الله تعالى: « إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا » (النساء: ١٧).

قال تعالى: «وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا» (النساء: ٢٧).

عن قتادة، عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأتوب في اليوم سبعين مرة).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال: أستغفر الله... الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً غُفرت له ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف).

- صلح مع الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.

- صلح واقتراب من الوالدين والأقارب، والأرحام،

والزوجة، والأولاد بالبر والصلة.
- صلح تام مع المجتمع الذي تعيش فيه حتى تكون عبداً صالحاً ونافعاً، قال صلى الله عليه وسلم: (خير الناس أنفعهم للناس).
أيُها الناس: إنّ الله شرع لكم الصيام تطهيراً لأرواحكم، وحفظاً لها من طغيان الجسد وشهواته، ولم يشرعه لتقاسوا آلام الجوع والعطش فقط؛ ولذلك يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من لم يَدَع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).
شرع الله لنا صيام نهار رمضان، وقيام ليله، فجعله شهر عبادة، بذكر الله وقراءة القرآن، والإكثار من الصلاة، وخاصة صلاة الليل، وجعل ثوابه أعظم الثواب.
وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلّا الصوم؛ فإنّه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك).
أيُها السادة: إنّي أرى في كثير مما اتخذنا من العادات في الصوم ما ينافي حقيقته، بل ما يحبط الأجر عليه، بل ما يزيد الإنسان به إثماً.
لقد فهم البعض خطأ أنّ معنى قيام الليل، سهر الليل، فصرنا نسهر في المقاهي والنوادي وعلى التلفاز وكثير من الملهيات، لا نفكّر إلا في اللهو واللعب، إلى ساعة متأخرة من الليل، ثم نأكل ما شاء الله أن نأكل، ثم نصبح مرهقين متعبين، قد ضاقت صدورنا، واضطربت أعصابنا، وساءت أخلاقنا، فلا يكاد اثنان يتحدثان، حتى ينفجر الغضب، وتثور الثائرة، وتتدفّق الألفاظ النابية، إلى ما ترون من حال، كلّكم تعرفونها، وقد تعتذرون لصاحبها بأنّه صائم، ولا أستثني من ذلك أحداً إلا من عصم الله.
فانظروا وتفكروا، وقارنوا هذه الحال الشاذة الشائعة في الصوم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب؛ فإن سابّه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم إني صائم). وذلك أنّ الصائم ينبغي أن يكون هادئ النفس، سمح الخلق، يضع نصب عينيه أنّ الصيام جُنّة له من الإثم، جُنّة له من سوء الخلق، جُنّة له من المعاصي، جُنّة له من فحش القول، جُنّة له من قول الزور والعمل به.
الذي ينبغي لنا في هذا الشهر المبارك -إن سمعتم لنصحي- أن تتّبعوا شريعتكم في الصيام؛ فتقتصدوا في الطعام والشراب، عند الفطور وعند السحور، وأن تجعلوا سهركم، إن سهرتم، في قراءة القرآن وتدبُره، ومن استطاع منكم أن يقوم الليل فليفعل؛ وذلك أن يصلي في بيته أو مسجده ما شاء الله له أن يصلي.
وهذه هي صلاة التراويح التي غُيّرت عن أصلها، فصار المصلون ينقرونها سراعاً في وقت تصير بعد صلاة العشاء، صلاة لا تنفع ولا تقبل، وإنما الصلاة ما كانت في خشوع وطمأنينة، وكلما أخّرها المصلّي إلى ما بعد الثلث الأول من الليل كان أفضل. ثم ينام أحدكم ما شاء الله له أن ينام، ثم يقوم قبل الفجر فيطعم طعاماً خفيفاً للسحور، ثم يصلي الفجر، وإن شاء نام بعد ذلك، وإن شاء تصرّف في شأنه وعمله.
أمّا الذين يأكلون عند انقضاء سهرتهم، ثم ينامون إلى ما بعد طلوع الشمس - فإنهم يخالفون سنة الإسلام في السحور، وأخشى أن يذهب تركهم صلاة الفجر بثواب صيامهم، فلا هم صاموا ولا هم أفطروا. وليس لله حاجة في أن يتركوا طعامهم وشرابهم؛ إذ لم يطيعوا أمره؛ ولم يأخذوا بسنة نبيه، وإذ أضاعوا صلاة الفجر عن وقتها عمداً.
أيُها السادة: إنّ الأُمَم تُصهر الآن في النيران، عقاباً لها على ما كفرت بأنعم الله، ولعلّ الله قد صان بلاد الإسلام من كثير مما يلاقي غيرها، لحكمة يعلمها؛ ومأثرة يدّخرها لهم، أن يعود للإسلام مجده، وأن يعود المسلمون حكام الدنيا كما كانوا. ولكن هذا إذا كانوا مسلمين، وإذا تمسّكوا بدينهم، وأقاموا شريعته، واهتدوا بهديه.
والنُذُر من بين أيديكم ومن خلفكم، فاعتبروا واخشوا ربكم، فقد ترى من تهافت المسلمين على المنكرات؛ ما نخشى أن يعمّهم الله بالعقاب من

أجله، وها أنتم أولاء ترون المجاهرين بالمعاصي، لا يخافون الله، ولا يستحيون من الناس، ولا يخشون عاقبة ما يصنعون. مقال أحمد شاكر ١٣٦١هـ - بتصرف يسير - ا.هـ.

وإليكم مجموعة مختصرة من أعمال الخير لتقفز بها وتنطلق بها إلى الجنة – اللهم آمين - "قراءة جزء من القرآن يومياً، وتوصية من حولك بقراءة جزء من القرآن. المشاركة في بناء مسجد. كفالة يتيم. حفر بئر. استقطاع شهري من راتبك لإحدى الأسر. مساعدة أسرة محتاجة ماديًا ومعنويًا.

قراءة كتب تربوية ودعوية. التعرف على أصدقاء جدد من مسجد قومك. الاتصال اليومي على الأهل والأصدقاء. ذكر الله تعالى بعدد يزداد يوماً بعد يوم. زيارة المقبرة مرة في الأسبوع. المكوث في المسجد بما لا يتعارض مع المصالح العامة، مشي جماعي مع من تحب مع التحدث في مشاريع الخير. إعداد رحلة لصغار العائلة مكافأة لهم على الصيام.

رسالة أخوية عبر الجوال. فعل خير أو عطاء جديد يومياً. إعطاء هدية للوالدين والإفطار معهم. الاستعداد للصلاة من قبل أن ينادي المنادي. عمرة في رمضان لمن استطاع إليها سبيلاً. التحلي بخلق جديد في كل يوم. قراءة سورة من القرآن مع تفسيرها يوميًا.

محاولة حفظ الأربعين النووية. المشاركة بمسابقة القرآن الكريم حضورًا أو دعمًا. الدعاء بظهر الغيب لإخوانك المسلمين. اتباع جنازة مع الاعتبار ابتغاء تحصيل الأجر. إلقاء أو نقل خاطرة للأصدقاء. المحافظة على أذكار الصباح والمساء. حفظ أحاديث مختارة وتطبيقها بقدر الاستطاعة. كتابة أفكار لزيادة الدخل الشهري. الاستماع لموعظة المسجد. ختم اليوم بصدقة.

إهداء مصحف لصغير تأليفاً لقلبه أو لكبير إكراماً لسنه. إماطة الأذى عن الطريق. الاتصال بصديق وعرض المساعدة عليه. المساعدة في توزيع الطعام على الفقراء. أداء صلاة الضحى للتعود عليها. التصدق بالخفاء والتعود على ذلك. أداء صلاة الوتر قبل النوم. جمع الملابس المستعملة والتصدق بها.

النوم على طهارة. مساعدة شخص دون سابق معرفة. إجابة دعوة لصديق أو قريب على الإفطار. التبرع بالدم مع الاحتساب للأجر. الاستغفار ١٠٠ مرة يومياً (أستغفر الله وأتوب إليه). المساهمة في شراء ملابس العيد للفقراء. تجاوز عن الدين للمعسر إن يسر الله لك. الدعاء لمريض بالشفاء عند زيارته.

دعوة الأصدقاء للإفطار. حفظ سورة الملك. الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات. التبسم في وجه كل من تلقاه. عمل مجموعة دعوية على برامج التواصل (واتس أب). كثرة الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. إكرام الضيف بالترحيب والإطعام. المواظبة على قراءة سورة الكهف يوم الجمعة. شراء عطر وإهداؤه لمن تحب. تعطير المسجد.

قول "جزاك الله خيراً" لمن أسدى إليك معروفاً. قول: "إني أحبك في الله" لمن لقيته من الرجال للرجال وللنساء من النساء. التطوع في مسجد قومك أو أي مؤسسة خيرية. سماع محاضرة علمية أو فكرية. الإعلان عن درس أو ندوة أو منشط دعوي. الانشغال طوال اليوم بـ(سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

استصحاب نية الخير عند الخروج من البيت يومياً. ترديد الأذان. زيارة أخ لك في الله. الدلالة على الخير. استعمال السواك مستشعراً مرضاة الله. تأدية السنن القَبلية والبَعدية للصلاة المفروضة. تتبع أخبار المسلمين في العالم مع الدعاء لهم. مصاحبة الصالحين بنية الاستفادة. إكرام الجار بالقول والفعل. التعرف على أهل الخير.

الاهتمام بالسمت الإسلامي والمظهر الجميل. المحافظة على الوضوء وتجديده لكل صلاة. تفطير صائم ولو على ماء. تقديم فكرة أو اقتراح للآخرين. إحياء السنن النبوية ونشرها بين الناس. تعليم القرآن تلاوة وتفسيراً. قضاء دين. تقديم نصيحة دعوية. صلة رحم بنية البركة في العمر.

كل عام أنتم إلى الله أقرب.

هذا، وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

من نفحات الإيمان في شهر الغفران: العمل بموجب التوحيد وترك ما ينافيه

إعداد د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فلحكمة أرادها سبحانه -ربما لأن رمضان موسم عبادة وصيام وقيام، وشهر طاعة وإحسان وقراءة للقرآن، وكل هذا يشترط له تمامُ الإخلاص وصدق التوجه إلى الله وحده لا شريك له- تضمنت آياتُ الصيام في سورة البقرة، الآية الكريمة: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٦)، وما ذاك إلا لبيان أن كل عبادة خارجة عن هذا الإطار لا قيمة لها ولا ثمرة من ورائها، وأنه سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه موافقاً لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأنه ليس ثمة أهم ولا أعظم بعد التوبة الصادقة، من أن يستجيب المؤمن لنداءات ربه ويجدد بيعته مع الله بالإذعان والامتثال، فيَقْوَى عنده جانب الإيمان المعقود عليه في بداية حديث القرآن عن الصيام، وليحقق في نفسه جانب العبودية وكلمة التوحيد الخالص لله والذي يأتي على قمته إفراده تعالى بالسؤال والدعاء المنصوص عليهما بنفس السياق وتحديداً في قوله: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ).

فكلمة التوحيد هي كلمة التقوى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ) (الفتح/ ٢٦)، وهي كلمة الحق: (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (الزخرف/ ٨٦)، وهي القول الثابت: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (إبراهيم/ ٢٧)، وهي الشجرة الطيبة: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) (إبراهيم/٢٤)، وهي العروة الوثقى: (فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ) (البقرة/ ٢٥٦)، وهي سبيل النجاة من النار لحديث مسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرّم الله عليه النار)، وهي التي لا يحجبها عن الله شيء؛ لما رواه الترمذي من حديث: (ما من عبد قال لا إله إلا الله مخلصاً، إلا فُتحت لها أبوابُ السماء حتى تُفضي إلى العرش)، كما أنها سبيل الفوز بدخول الجنة

لما في الصحيحين من حديث: (من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء).

بل ما خلق الله الدنيا والآخرة والجنة والنار إلا لها، وما أنزل الكتب وأرسل الرسل إلا لأجلها، وذلك قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء/٢٥)، ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ ﴾ (الزخرف/٤٥)، وهي التي في سبيلها شُرع جهاد المشركين كما في حديث: (أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله..)، الحديث، وبها يُجتاز الصراط وتُؤخذ الكتب باليمين، وهي أفضل الذكر، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، وهي كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه، ورأس أمره، وساق شجرته، وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين متفرعة عنها متشعبة منها مكمِّلات لها، مُقيَّدةٌ بالتزام معناها والعمل بمقتضاها.

كما أنها الإحسان، وأول الإسلام، وأعلى شعب الإيمان، على ما جاء: في حديث جبريل حين سأل الرسول عن تلك الثلاثة، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله).. وهي التي بنقيضها يُحبط العمل ويَضيع الأجر والثواب، ويَخسر الإنسان دينه ودنياه وأخراه، كما قال سبحانه عمن هذا حالهم: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان/ ٢٣).

أ- من موجبات التوحيد ترك ما ينافيه:

من هنا لم يكتف الإسلام بقَصْر (الرشاد) على: (الاستجابة لله والإيمان به) كما أفادته آية البقرة، حتى شدَّد النكير على من قصَّروا فيهما، فأضحت أعمالهم هباءً، ونهى عن التشبه بهم في عبادتهم، وحذَّر من اتباع طرائقهم التي صورها القرآن وتلخصت في قوله سبحانه: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (يونس/١٨)، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ (الزمر/٣)، علماً بأن هؤلاء الذين حذَّر القرآن منهم ومن فعالهم، كانوا يؤمنون بربوبية الله كما دل عليه غيرُ ما آية، ثم إن أولئك الذين اتخذوهم شفعاء وأولياء ثم تبرؤوا منهم- على ما حكى القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ (الأحقاف/٥، ٦)- كانوا - على ما أورده البخاري عن ابن عباس في تفسير: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ (نوح/٢٣)- (رجالاً صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتُنوسيَ العلم عُبدت)، قال غير واحد من السلف: (لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم).

وقد انتقلت هذه الأصنام في زمن عمرو بن لحيّ إلى قبائل العرب، ولم تزل تُعبد حتى بُعث صلوات الله وسلامه عليه، فأرسل في هدمها وتكسيرها، وقد كانوا يعبدونها في الرخاء ويجعلونها وسائط بينهم وبين الله، وأما في الشدة فكانوا يُخلصون العبادة لله، على ما ورد في قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ (العنكبوت/٦٥).

وسدًّا للذريعة، وحتى لا تقع هذه الأمة فيما وقع فيه أولئك القوم، حذَّر الإسلام من كل ما من شأنه أن يؤدي إليه.. فأنكر ربنا على من دعا أحداً من الموتى والمغيبين، وقال في ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (الأعراف/١٩٤)، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ (فاطر/١٣، ١٤).

ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم عن إطرائه وإنزاله فوق المنزلة التي أنزلها الله قائلاً: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله)، كما نهى عن أن يُعَظَّم قبره أو يُطاف حوله، على ما أفاده قوله داعياً: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَد)، أو أن يُتوسل به بعد موته كما تُوسِّل بصالحي قوم نوح، أو أن يُجعل -بأبي هو وأمي- واسطة بين الله وخلقه، على ما أفاده قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب)، كذا بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، وبالتأكيد بـ (إن) واسمية الجملة، ودون أن يكون هو أو غيره -بطريق الأولى- وسيلة أو واسطة بينه وبين عباده، بيْنَا نلحظ توَسُّطه في الإجابة عن كل سؤال: (يسألونك عن كذا)، (فقل كذا)؛ وقد شرع الإسلام بدلاً عن هذا:

أ- التوسل بدعائه عليه السلام حيًّا، أو بدعاء الصالحين في حضرتهم، كما فعل الصحابة ذلك معه صلى الله عليه وسلم في حياته، ومع غيره بعد وفاته من نحو: توسلهم بـ(العباس) زمن عمر، وبـ(يزيد بن الأسود الجرشي) و(بلال بن سعد) زمن معاوية، وبـ(منذر بن سعيد) زمن الناصر؛ مع علمهم بعظم شأنه صلوات الله عليه، ومن نحو: قوله هو عليه السلام لبعضهم وهو المجاب الدعوة: (لا تنسنا يا أُخَيّ من دعائك).

ب- والتوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى في نحو ما ورد في دعائه: (اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث).

جـ- وبالأعمال الصالحة على ما جاء في حديث الصخرة التي أطبقت على أصحابها، فما أخرجهم منها إلا توسل كل بصالح عمل احتسبه عند الله.

كما نهى عليه السلام عن أن يُطلب منه المدد أو أن يُستغاث به، وذلك حين قال بعضهم: قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال عليه السلام: (يا هذا، إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله).. ونهى كذلك عن أن يُحلف أو يُنذر أو يُذبَح لغير الله، فقال: (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)، (من نذر لغير الله فقد أشرك)، (لعن الله مَن ذبح لغير الله).. وعن أن تتخذ القبور مساجد، كما دل عليه قوله: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، يحذِّر ما صنعوا.

وإنما جاء الأمر كذلك، صوناً لعقيدة التوحيد من أن يشوبها شائبة شرك، إذ التهاون في مثل هذه الأمور، مفض -لا محالة- إليه، ومحبط للعمل، ومخرج مِن دائرة مغفرة الله التي وسعت كل شيء، وذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ (النساء/٤٨)، وهاهم أولاء صفوة خلقه من الرسل يقول تعالى في شأنهم بعد أن أثنى عليهم: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (الأنعام/ ٨٨)، ويقول لخاتمهم -مع علمه سبحانه أن وقوع ذلك منه أو من أحد من إخوانه النبيين محال-: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (الزمر/ ٦٥، ٦٦).

الأمر الذي يعني أن الشرك أو اتخاذ أيٍّ من أسبابه، هو أعظم ما عُصي الله به، وأن التوحيد والعمل بموجبه وترك ما ينافيه، هو: أعظم ما أمر به الله، وهو المعوّل عليه في قبول العمل عند الله.

ب- العمل بموجب كلمة التوحيد:

ولأن الدعاء والتعبد إلى الله به من أهم مظاهر التوحيد، فقد عَنى أهل العلم بقولهم: (العمل بموجب كلمة التوحيد) -بعد ما ذكرنا ما عَنَوه بـ (ترك ما ينافيه)- عَنَوا به أمرين مهمين:

الأول: أن لكلمة التوحيد التي تؤتي ثمارها ويقع النفع بها، شروطاً سبعة، هي: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً علماً ينافي الجهل، واليقين الجازم المنافي للشك، والقبول التام المنافي للرفض، والانقياد المنافي للترك، والصدق المنافي للكذب، والإخلاص المنافي للشرك، وأخيراً المحبة لما اقتضته هذه الكلمة ودلت عليه، ومحبة أهلها العاملين بها وبشروطها، وبُغض ما ناقض ذلك، ولكلٍ ما ذكرنا أدلته التي يضيق المقام عن ذكرها.

الثاني: صرف كل أنواع العبادة لله وحده دون

غيره، وذلك قوله تعالى موجهاً نبيه وكل من آمن بدعوته: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام/١٦٢، ١٦٣)، فالصلاة والذبح لا يكونان إلا لله كما في صريح الآية، والنذر والطواف لا يكونان إلا له وعلى النحو الذي شرع، مصداقاً لقوله: (وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (الحج/ ٢٩)، والعبادة والاستعانة لا يجعلان إلا له وبه، كيما يتحقق ما نقوله في كل ركعة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة/ ٥)، والخوف والرجاء لا يكونان إلا منه وفيه، لحديث البخاري ومسلم: (لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك)، والرهبة والتوكل لا يكونان إلا منه وعليه: (فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (النحل/ ٥١)، (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (المائدة/ ٢٣)، والسؤال والاستغاثة لا يطلبان إلا منه وبه، للآية: (وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) (يونس/ ١٠٦، ١٠٧)، ولحديث: (وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله).

وبذا قضى العقل، على نحو ما قضى بأنه إذا كان سبحانه قد نفى عن رسوله وصفوة خلقه امتلاك النفع والضرّ وعلم الغيب عنه حيًّا فيما سبق وفي نحو قوله: (قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) (الأعراف/ ١٨٨)، أفيملك شيئاً من ذلك بعد أن تحقق فيه قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) (الزمر/ ٣٠)؟!؛ وإذا كان سبحانه قد نفى عنه ذلك حيًّا وميتًا- وهو من هو- أيقول عاقل بأن غيره يملك شيئاً من أمر نفسه أو غيره حيًّا أو ميتاً؟!.

وها هو ذا- صلوات الله وسلامه عليه- يؤكد هذه الجملة من الحقائق عمليًّا وبنفسه، فيقول لأقرب الناس إليه بعد أن نزل (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء/ ٢١٤): (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً).

وإذا كان الأمر كذلك، فقد استبان حتمية أن يعمر المؤمن حياته بالإيمان، ويملأ قلبه بالعقيدة الصافية والإيمان الصادق والتوحيد الخالص، وأن يجعل رمضان انطلاقة لتحقيق ذلك.. فالشرك أعظم ما نَهى الله عنه، لذا لم تنه الرسل عن شيء قبله، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، لذا لم يأمروا بشيء قبله.. وما ذُكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جُعل أوله، وما ذُكر التوحيد مع شيء من الأوامر إلا جُعل كذلك.. وآيات سور: النساء (٣٦)، والأنعام (١٥١)، والإسراء (٢٣)، والفرقان (٦٨) وما بعدها؛ ناطقة بذلك ولا ريب وشاهدة عليه.

وقل مثل ذلك في الأحاديث الجامعة، من نحو قوله عليه السلام -لمن سأله عما يقربه إلى الجنة ويباعده عن النار- (لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً.. الحديث)، وقوله في حديث جبريل المشهور عن الإيمان والإسلام: (أن تؤمن بالله..) (أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله..)، وغيرهما كثير.

هكذا ينبغي أن يكون رمضان مصدر إلهام، لنستقي التوحيد من منابعه الصافية من خلال الآيات الصريحة، وكذا الأحاديث والآثار الصحيحة لا تلك الضعيفة والموضوعة التي لا يزال البعض يتمسك ويتشدق بها، ويريد أن يُقحمها على القلوب العامرة بالإيمان، ليتسنى له أن يَعتقد جواز طلب ما لا يقدر عليه إلا الله من غيره تعالى، أو يفسر الإسلام -فيما لا يجوز فيه التقليد ولا يسوغ فيه الاجتهاد- بهواه.

فاسلكنا اللهم في عداد عبادك الموحّدين الطائعين، المخلصين العاملين، واجعلنا لك ذكّارين لك شكّارين، لك أوّابين منيبين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللّهم آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بركة السحور

إعداد: أحمد عز الدين

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه، وبعد:

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تسحَّرُوا؛ فإن في السحور بركة» (متفق عليه).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "المراد بالبركة: الأجر والثواب، ولكونه يقوِّي على الصوم ويخفِّف المشقة".

وقال الصنعاني رحمه الله تعالى: "والبركة المشار إليها فيه اتباع السنة ومخالفة أهل الكتاب؛ لحديث الإمام مسلم مرفوعًا عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «فصل بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر». وفيها التَّقَوِّي على العبادة وزيادة النشاط، والتسبب للصدقة على من يسأل وقت السحر. (سبل السلام).

قال ابن المنذر رحمه الله: «الإجماع على أن التسحُّر مندوب».

وهناك جملة من الفوائد، منها ما يلي:

١- يتحقق السحور ولو بقليل من الطعام؛ لما ثبت عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «السحور أكله بركة، فلا تدعوه ولو أن يتجرَّع أحدكم جرعة ماء، فإن الله وملائكته يُصَلُّون على المتسحرين». (رواه أحمد، وابن حبان، وصححه الألباني بطرقه، صحيح الترغيب والترهيب).

٢- يجوز السحور في أيِّ وقت من الليل، والمستحب تأخيره؛ فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطور». (البخاري: ١٩٥٧)، قال الصنعاني رحمه الله: «زاد في رواية أحمد: وأخِّرُوا السحور» من حديث أبي ذر وإسناده ضعيف.

وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أُمِرْنَا معاشر الأنبياء أن نُعَجِّل إفطارنا، ونُؤَخِّر سحورنا، ونضرب بأيماننا على شمائلنا في الصلاة». رواه الدارقطني.

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قام إلى الصلاة». قلت: كم بين الأذان والسحور؟ قال:

قدر خمسين آية. (متفق عليه).

٣- بركة السحور تحصل بأقل ما يتناوله الإنسان من مأكول ومشروب؛ فعن سلمان رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «البركة في ثلاثة: الجماعة، والثريد، والسحور». رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني.

وعن عبد الله بن الحارث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر؛ فقال: «إنها بركة أعطاكم الله إياها، فلا تَدَعُوها». (صحيح الترغيب والترهيب).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْم سحور المؤمن التمر». (صحيح الترغيب والترهيب).

قال ابن القيم: "التمر مُقَوٍّ للكبد، مُلَيِّن للطبع، يزيد في الباءة، وهو أكثر الثمار تغذية للبدن، فهو فاكهة وغذاء وشراب وحلوى".

٤- ما يظنه كثير من الناس من الامتناع عن السحور إذا سمعوا ما عُرف بمدفع الإمساك أو التواشيح في الإذاعة، لا أساس له من الصحة، والصحيح أن وقت الإمساك هو وقت الفجر الصادق.

٥- إذا شك في طلوع الفجر، فله أن يأكل ويشرب حتى يتيقن؛ لقوله سبحانه: «وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ» (البقرة:١٨٧)، وعند البيهقي، وابن أبي شيبة أنه قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إني أتسحر فإذا شككت أمسكت، فقال ابن عباس له: "كُلْ ما شككتَ حتى لا تَشكَّ".

٦- إذا سمع المسلم الأذان وشرابه في يده، فله أن يشرب حتى ينتهي؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه». (صحيح: رواه أبو داود، والحاكم).

اعلم أخي الحبيب أن السحور سُنَّة نبوية عظيمة، فاحرص عليها وبخاصة في رمضان، واغتنم الفرصة العظيمة ودَرِّب أولادك عليها بإيقاظهم قبيل الفجر معك ليصوموا نهار رمضان وابتعد أخي الحبيب عن المحرمات والمكروهات كالتدخين واللهو واللعب الذي لا فائدة منه، ويفوت عليك تحصيل الباقيات الصالحات.

ونسأل الله عز وجل لجميع المسلمين الهداية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

تهنئة

الأمن القانوني والمشروعية

دراسة مقارنة في مجال القانون العام والفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث محمد السيد بنداري عطية سالم، الباحث القانوني في مجلس الدولة، إلى كلية الحقوق جامعة حلوان، وقد تكونت لجنة المناقشة والحكم من كل من:

أ.د/ محمد جمال عثمان جبريل، أستاذ القانون العام، كلية الحقوق، جامعة حلوان، مشرفًا ورئيسًا.

أ.د/ رشدي شحاتة أبو زيد، أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية، كلية الحقوق جامعة حلوان مشرفًا وعضوًا.

أ.د/ منصور محمد أحمد، أستاذ القانون العام ووكيل الكلية لشئون الدراسات العليا كلية الحقوق، جامعة المنوفية، عضوًا.

وقد حصل الباحث على درجة الدكتوراه، خالص التهاني والتبريكات للابن الغالي الدكتور محمد بنداري، متمنين له مزيدًا من التوفيق والازدهار دائمًا بإذن الله تعالى.

رئيس التحرير

تاريخ مشروعية الصيام

إعداد/ محمد عبد العزيز

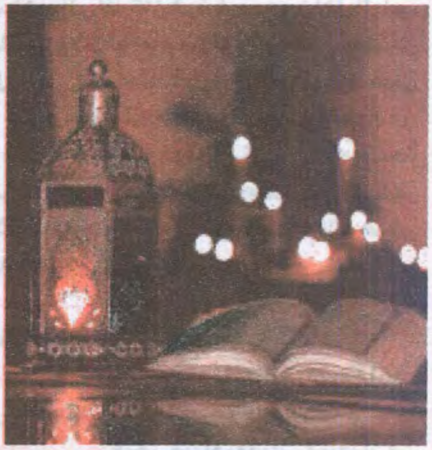

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلاة وسلامًا على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فالصيام عبادة من أحب العبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى، حتى إنه سبحانه أضافه إلى نفسه إضافة تشريف وتعظيم، وأخبر عباده بتفضله عليهم فيه بمضاعفة الأجور، فجزاء الحسنة الواحدة يضاعف إلى عشر حسنات، وهذا أقل المضاعفة وإلا فقد يزاد إلى سبعمائة ضعف فما فوقها، فأعلم بذلك الحفظة ليكتبوه في ديوان حسنات المكلفين، ثم إنه أخفى أجر الصيام عن الحفظة وتولاه بنفسه وجعله لعباده ذخرًا يجزيهم به يوم القيامة. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: «قَالَ اللهُ تعالى: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» (أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، واللفظ لمسلم).

قال البيضاوي: معناه: إن الحسنات يضاعف جزاؤها من عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فلا يضاعف إلى هذا القدر بل ثوابه لا يقدر قدره ولا يحصيه إلا الله تعالى، ولذلك يتولى جزاءه بنفسه ولا يكله إلى غيره (الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٣ /١١٨).

وقال ابن دقيق العيد في شرح الإلمام (٣ /١٦٢): «الأعمال قد كشفت لبني آدمَ مقاديرُ ثوابها وتضعيفها، إلا الصيام، فإن الله يثيبُ عليه بغير تقدير... يعني - والله أعلم -: أنه يجازي عليه جزاءً كثيرًا من غير أن يُعيِّنَ مقدارَه ولا تضعيفَه، وهذا كما قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» (الزمر: ١٠)، وهم الصائمون في أكثر أقوال المفسرين».

و الصوم هو الركن الثالث من أركان الإسلام العملية، والرابع من أركان الإسلام مطلقًا، وقد افترض الله تعالى صيامه في شهر شعبان من العام الثاني لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وقع في هذا العام سبعة من التشريعات هي: تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام على رأس ستة عشر شهرًا من هجرته صلى الله عليه وسلم فكان أول نَسْخ وقع في الإسلام، وشُرِعَ فيه الصيام كما سبق، وشُرعَت فيه زكاة المال، وشُرعَتْ فيه زكاة الفطر، وشُرعَ فيها الاعتكاف، وشُرعَ فيها صلاة العيدين في الخلاء، فكانت فيه أول صلاة عيد يخرج فيها النبي صلى

اللّه عليه وسلم إلى المصلى لصلاة العيد، وشُرِع فيها الأضحية؛ فضحَّى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أحدهما عن محمد وآل محمد صلى الله عليه وسلم، والآخر عن أمته.

هذا خلا الأحداث العظام التي وقعت فيه فقد وقع فيه تسع غزوات وسرايا، وهي: غزوة الأبواء، وغزوة بواط، وغزوة بدر الأولى حتى بلغ وادي سفوان، وغزوة العشيرة فوادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، وسرية جهينة إلى حي من كنانة، وسرية عبد الله جحش إلى نخلة، ووقعت فيها غزوة بدر الكبرى في يوم الجمعة في السابع عشر من رمضان، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بني سليم حتى بلغ الكدر، وفيها أجلى يهود بني قينقاع عن المدينة.

وفي هذه السنة توفيت رقية رضي الله عنها ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرجع المسلمين من غزوة بدر، وفيها بعد بدر بشهر هاجرت زينب رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها تزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها توفي عثمان بن مظعون ودفن في البقيع فكان أول من مات من المهاجرين في المدينة... وغيرها من الأحداث.

في هذا العام الحافل بالتشريعات والأحداث المهمة كانت مشروعية الصيام على المسلمين.

والصيام تشريع رباني افترضه الله تعالى على عباده في سائر التشريعات كما أخبر بذلك في كتابه، قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ » (البقرة: ١٨٣).

مراحل مشروعية الصيام:

مرت مشروعية الصيام بمرحلتين على التدرج بالمؤمنين؛ تلطفًا بهما كما حدث في بعض التشريعات الأخرى التي تثقل على المكلفين.

المرحلة الأولى: قبل فرض صيام رمضان بتسعة عشر شهرًا من هجرته: شرع صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام عاشوراء، ويستدل على ذلك بحديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يأمرنا بصيام عاشوراء، ويحثنا عليه، ويتعاهدنا عنده، فلما فرض رمضان لم يأمرنا به ولم ينهنا عنه ولم يتعاهدنا عنده» (أخرجه مسلم ١١٢٨)، فهذا الحديث دليل على مشروعية صيام عاشوراء، وقد ذهب إلى أنه كان فرضًا جمع من أهل العلم.

و أما صيام ثلاثة أيام من كل شهر فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وقال يزيد: فصام تسعة عشر شهرًا من ربيع الأول إلى رمضان من كل شهر ثلاثة أيام، وصام يوم عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام، فأنزل الله « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ » (البقرة: ١٨٣)، إلى هذه الآية: «وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ» (البقرة: ١٨٤) » أخرجه أحمد (٢٢١٢٤)، وأبو داود (٥٠٦).

المرحلة الثانية: فرض صيام رمضان في شعبان من العام الثاني كما سبق، وقد مرت فيها مشروعية الصيام بمرحلتين:

الأولى: التخيير بين الصيام، وبين الفطر وإطعام مسكين عن كل يوم، وبيان أن الصيام أفضل لأولي العزم من المؤمنين، ذلك أن الصيام كان عليهم شديدًا فقد كانوا قومًا لم يتعودوا الصيام، ودليل هذه المرحلة قوله تعالى: «وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ» (البقرة: ١٨٤).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «ثم إن الله فرض عليه الصيام، فأنزل الله: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ » (البقرة: ١٨٣)، إلى هذه الآية: «وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ» (البقرة: ١٨٤) قال: فكان من شاء صام، ومن شاء أطعم مسكينًا، فأجزأ ذلك عنه».

الثانية: فرضية الصيام على المكلف المقيم القادر الخالي من الأعذار. كالحيض والنفاس. وقد كانت هذه المرحلة بعدما تعود الناس على الصيام ورغبت نفوسهم فيه، فأنزل الله فرضيته بقوله: «فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ

تَشۡكُرُونَ » (البقرة: ١٨٥).
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى « شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ » (البقرة: ١٨٥) إلى قوله «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» (البقرة: ١٨٥)، قال: فأثبتَ الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخَّص فيه للمريض والمسافر وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام، فهذان حولان».

اختلاف هيئة الصيام في مرحلتيه:

ومرّ الصيام بهيئتين في أول تشريعه:

الهيئة الأولى: كان يبدأ فيها الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من بعد العشاء أو من نوم المكلف وينتهي بغروب الشمس، فإذا أفطر بقي على إفطاره حتى ينام فيبدأ صيامه من نومه إن نام قبل العشاء، أو حتى يدخل وقت العشاء فيصوم عن سائر المفطرات؛ فقد كان إفطارهم على هذا وقتًا قليلاً لا يبلغ ساعتين، وكان صيامهم يبدأ من الليل، وهذه الهيئة من الصيام كانت في المرحلة الأولى التي كان فيها التخيير بين الصيام وبين الإفطار وإطعام مسكين.

- ويدل على الحال الثانية أن الصيام كان يبدأ من نومة الصائم بعد غروب الشمس: حديث البراء رضي الله عنه، قال: «كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائمًا، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي» (أخرجه البخاري ١٩١٥).

- ويدل على الحال الأولى أن الصيام كان يبدأ من صلاة العشاء الآخرة حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال: «كان الناس على عهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إذا صلَّوا العتمة حَرُمَ عليهم الطعام والشراب والنساء وصاموا إلى القابلة». أخرجه أبو داود (٢٣١٣)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: حسن صحيح.

لكن قال الحافظ في الفتح (١٣٠/٤): «وهذا أخص من حديث البراء من وجه آخر، ويحتمل أن يكون ذكر صلاة العشاء لكون ما بعدها مظنة النوم غالبًا والتقييد في الحقيقة إنما هو بالنوم كما في سائر الأحاديث».

الهيئة الثانية: ويبدأ فيها الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من الفجر الصادق إلى غروب الشمس، قال تعالى: « وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ » (البقرة: ١٨٧)، فجاء التخفيف فيها عن المكلفين من الله رب العالمين، وقد كان لهذا التخفيف عن المؤمنين سبب نزول فمن ذلك:

١- حادثة صرمة بن قيس - رضي الله عنه -: عن البراء رضي الله عنه قال: «كان أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- إذا كان الرجل صائمًا؛ فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر؛ لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وأن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه. فذكر ذلك للنبي- صلى الله عليه وسلم- فنزلت هذه الآية: «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ» ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ونزلت: «وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ»» أخرجه البخاري (١٩١٥).

٢- حادثة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عن كعب بن مالك قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل، فأمسى فنام حرم عليه الطعام، والشراب، والنساء حتى يفطر من الغد، فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، وقد سهر عنده فوجد امرأته قد نامت، فأرادها فقالت: إني قد نمت، قال: ما نمت ثم وقع بها، وصنع كعب بن مالك مثل ذلك، فغدا عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى: « عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ » (البقرة: ١٨٧)» أخرجه أحمد (١٥٧٩٥). فكان هذا التشريع المحكم الذي بقي عليه الصيام.

تقبل الله منا ومنكم صالح العمل، وأعاننا وإياكم على شكره وذكره وحسن عبادته وأكتفي بهذا القدر الذي لا يسمح المقام بأكثر منه.

للصائم دعوة لا ترد

إعداد: عبده الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فالدعاء شأنه عظيم، ومكانته سامية، ومنزلته عالية؛ إذ هو أجلّ العبادات، وأعظم الطاعات وأنفع القُرُبَات.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الدعاء هو العبادة». ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).

ولهذا جاءت النصوص الكثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المبيِّنة لفضل الدعاء والمنوهة بمكانته وعظيم شأنه، والمرغبة فيه والحاثة عليه، قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٥- ٥٦)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر:٦٥).

وقد أثنى ربنا سبحانه على المؤمنين الصادقين الذين استجابوا لربهم ونعتهم فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٥-١٧)، فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم الله من جنس عملهم، فأخفى أجرهم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثّ على الدعاء ويرغّب فيه؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء». (صحيح الترغيب: ١٦٣٤).

وبيّن صلى الله عليه وسلم أن الدعاء من أقوى الأسباب في دَفْع المكروه، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيدُ في العمر إلا البِرّ». (صحيح الترغيب: ١٦٣٨).

كما بَيَّنَ صلى الله عليه وسلم أن الله مع من دعاه فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني». (مسلم: ٢٦٧٥).

وإن من دعا الله غفر له، قال صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي». (صحيح الجامع: ٤٣٣٨).

وقد أنكر الله تعالى على أقوام ابتلاهم ليدعوه فلم يفطنوا لذلك؛ فحقت عليهم كلمة العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٤٣ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۝٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٤٢-٤٥).

وفي هذا وعدٌ ووعيدٌ؛ فالواجب على كل مبتلى أن يتضرع إلى الله، فالله يبتلي العباد ليسمع دعاءهم وتضرعهم فإن هم فعلوا نفعهم هذا؛ هذا هو الوعد؛ قال الله تعالى عن قوم يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (يونس:٩٨).

وهذا يبين لنا عظيم شأن الدعاء، وأنه أساس العبودية وروحها، وعنوان التذلل والخضوع والانكسار بين يدي الرب سبحانه، وإظهار الافتقار إليه، لذا توعد الله من استكبر عن دعائه، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر:٦٠)، وهذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة؛ حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد

من استكبر عنها؛ فقال: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » (غافر:٦٠) أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاءً على استكبارهم. (تيسير الكريم الرحمن: ٦/٥٤٠).

فالله عز وجل يحب من عبده أن يسأله ويدعوه، ويغضب على من لم يسأله ولم يدعُه، قال صلى الله عليه وسلم: «مَن لَمْ يسأل الله يغضب عليه». (الصحيحة: ٢٦٥٤).

ولهذا فإن العبد كلما عظمت معرفته بالله وقويت صلته به كان دعاؤه له أعظم، وانكساره بين يديه أشد، ولهذا كان أنبياء الله ورسله أعظم الناس تحقيقًا للدعاء وقيامًا به في أحوالهم كلها وشؤونهم جميعها، وقد أثنى الله عليهم بذلك في وصفهم: «إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ » (الأنبياء:٩٠)،

وقد انتفع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأدعيتهم؛ فهذا نبي الله آدم عليه السلام وزوجه لما دعوا الله وقالا: «رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ » (الأعراف:٢٣)؛ استجاب الله له «فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ » (البقرة:٣٧).

وهذا نبي الله نوح عليه السلام انتفع بدعائه لما «قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ » (الشعراء: ١١٧- ١١٨)؛ استجاب الله دعاءه، قال الله تعالى: «فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ » (الشعراء:١١٩- ١٢٢)،

وهذا نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام انتفع بدعائه لما قال: «رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ (٨٣) وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ » (الشعراء:٨٣-٨٤)، قال أهل العلم: قد أجاب الله دعاء نبيه إبراهيم الخليل عليه السلام، فوهب له من العلم والحكم ما كان به من أفضل المرسلين، وألحقه بإخوانه المرسلين، وجعله محبوبًا مقبولاً معظمًا مثنى عليه في جميع الملك في جميع الأوقات. (تيسير الكريم الرحمن: ٥/٢٢٥)، «وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ » (الشعراء:٨٤) أي: اجعل لي ثناء صدق، مستمر إلى آخر الدهر، وقد استجاب الله تعالى له، فمن أركان الصلاة التشهد وفيه نقول: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد». متفق عليه.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصبح وإذا أمسى قال: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين». (صحيح الجامع: ٤٦٧٤).

وإذا أمسى يقول: «أمسينا..»؛ فبسبب الدعاء جعل الله لخليله إبراهيم عليه السلام هذه المراتب العلية والثناء الحسن.

وهذا نبي الله يونس عليه السلام نفعه دعاؤه فنجاه الله من الغم، قال الله تعالى: «وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ » (الأنبياء: ٨٧- ٨٨).

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكم استجاب الله دعاءه!، فمن ذلك أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة والنبي يخطب على المنبر، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا». قال أنس رضي الله عنه: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس ستًا، ثم دخل رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السُّبُل، فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: «اللهم

حوالينا، ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر». قال: فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس. (متفق عليه).

ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأم أبي هريرة بالهداية للإسلام فاستجاب الله له، قال صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهد أم أبي هريرة». (مسلم: ٢٤٩١). ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك رضي الله عنه: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته». متفق عليه، يقول أنس رضي الله عنه: فوالله إن مالي لكثيرٌ، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم. (مسلم: ٨٤١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك؛ بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام». (صحيح الترمذي: ٣٦٨١)، فهدى الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

دعوة الصائم مستجابة

إن دعوة الصائم مُجابة لا ترد، فيا أخي الصائم، يا أختي الصائمة الدعاءَ الدعاء لا تملوا ولا تكلوا منه، فإن الدعاء سبب سعادة المرء في دينه ودنياه، في حياته وبعد مماته، ولا سيما إذا تحرى الإنسان أرجى أوقات إجابة الدعاء، من ذلك يوم الجمعة، قال صلى الله عليه وسلم: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة، فيها ساعة لا يوجدُ عبد مسلم يسأل الله شيئًا إلا آتاه إياه فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر». (صحيح الترغيب: ٧٠٣).

ومنها بين الأذان والإقامة: قال صلى الله عليه وسلم: «الدعاء لا يُرَدُّ بين الأذان والإقامة». (صحيح الجامع: ٣٤٠٨).

ومنها حال السجود، قال صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء». (مسلم: ٤٨٢).

ومنها بين صلاتي الظهر والعصر من كل يوم أربعاء: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا في مسجد الفتح ثلاثًا: يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، فاستُجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعُرِفَ البشْرُ في وجهه، قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم غليظٌ إلا توخيت تلك الساعة، فأدعو فيها فأعرفُ الإجابة. وفي رواية: فاستجيب له بين الصلاتين- الظهر والعصر- من يوم الأربعاء. (صحيح الترغيب: ١١٨٥).

يقول شيخنا الألباني رحمه الله: «لولا أن الصحابي رضي الله عنه أفادنا أن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت من يوم الأربعاء كان مقصودًا-والشاهد يرى ما لا يرى الغائب وليس الخبر كالمعاينة- لولا أن الصحابي أخبرنا بهذا الخبر لكنا قلنا: هذا قد اتفق لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دعا فاستجيب له، في ذلك الوقت من ذلك اليوم، لكن أخذ هذا الصحابي يعمل بما رآه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا ووقتًا ويستجاب له. إذن هذا أمرٌ فهمناه بواسطة هذا الصحابي وأنه سنة تعبدية لا عفوية». (صحيح الأدب المفرد: ٢٨٠/٢).

ومنها: جوف الليل الآخر: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الدعاء أسمع؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «جوف الليل الآخر، ودُبُر الصلوات المكتوبات». (صحيح الترغيب: ١٦٤٨).

فهذه بعض الأوقات التي ترجى فيها إجابة الدعاء فاغتنموها عباد الله، مع الأخذ بآداب الدعاء، ومنها: رفع اليدين: قال صلى الله عليه وسلم: «إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفرًا- أو قال: خائبتين».

أنه يبدأ بحمد الله وتمجيده والثناء عليه، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليدع بما شاء». (صحيح الجامع: ٦٤٨).

ومنها: أن يجزم الدعاء، ويوقن بالإجابة قال صلى الله عليه وسلم: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة». (صحيح الجامع: ٢٤٥).

وإذا أردت أن توفق للدعاء فقل: «اللهم أعنِّي على ذكْرك وشكرك وحُسن عبادتك». (صحيح أبي داود: ١٣٤٧).

هذا، والله تعالى أسأل أن يتقبل منا ومنكم.

المسابقة العلمية
للشيخ / محمد صفوت نور الدين -رحمه الله-

الحلقة الرابعة عشر لعام (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م) - والجائزة الأولى عمرة -

بشرى للجميع / مسابقة علمية سنوية في القرآن والسنة، تبدأ من رمضان ١٤٤٠هـ.

تاريخ الامتحان: الساعة الثامنة صباح يوم السبت: ٢٤ ذي القعدة ١٤٤٠هـ / الموافق: ٢٧ يوليو٢٠١٩م.

مكانها: مجمع التوحيد الإسلامي في مدينة بلبيس-محافظة الشرقية.

الجوائز: يتم إعلانها في احتفال في «بلبيس» عصر يوم الجمعة ٢٢ ذي الحجة ١٤٤٠هـ- الموافق: ٢٣أغسطس.

جائزة الفائز الأول في المستوى الأول عمرة، يليها جوائز نقدية كبيرة أو عينية قيمة لباقي الفائزين.

مقررات المستوى الأول:

« امتحان القرآن شفويٌّ أما باقي المواد فتحريري »

١- حفظ أربعة وعشرين جزءًا من «الفاتحة» إلى آخر «سورة فصلت»، مع تفسير «سورة فصلت» من «١ - ٢٥» من المنهج المقرر.

٢- حفظ مائة حديث من «التجريد الصريح» من (١٣٠١ إلى ١٣٩٩)، مع شرح عشرة مختارة منها، على ما ورد في المنهج المقرر.

٣- دراسة الباب العاشر والحادي عشر والثاني عشر من كتاب «القول المفيد شرح كتاب التوحيد».

٤- كتاب «إتحاف الأنام بأحكام الصيام» للشيخ صفوت نور الدين من صـ ٢٩: صـ ٨٧.

مقررات المستوى الثاني:

« امتحان القرآن شفويٌّ أما باقي المواد فتحريري »

١- الحفظ من «سورة الأنبياء» إلى «سورة الناس» مع التجويد ومع تفسير «سورة الأنبياء» من «١ - ٢٨» من المنهج المقرر.

٢- حفظ خمسين حديثاً من «مختصر صحيح مسلم» من (٦٥١ - ٧٠٠)، مع شرح عشرة مختارة منها، على ما ورد في المنهج.

٣- دراسة الباب السابع والثامن من كتاب «القول المفيد شرح كتاب التوحيد».

مقررات المستوى الثالث:

« الامتحان شفويٌّ في جميع المواد » ، ولا يزيد عمر المتسابق فيه عن ١٥ عامًا.

١- حفظ القرآن الكريم من «سورة ق» إلى «سورة الناس» مع التجويد ومعاني الكلمات من «سورة الجمعة» إلى «سورة التحريم».

٢- حفظ خمسة وعشرين حديثاً من «رياض الصالحين» مع شرح مبسط كما ورد في المنهج المقرر.

٣- حفظ خمسة وعشرين سؤالاً مع الجواب من كتاب «٢٠٠سؤال وجواب للشيخ حافظ حكمي» على ما ورد في المنهج.

نظام الاشتراك:

يقوم المتسابق بالإعجاب بصفحة المسابقة على «الفيس»، وهي: «مسابقة الشيخ محمد صفوت نور الدين السنوية» وذلك لتنزيل المقررات بصيغة الـ «pdf» ومتابعة التنبيهات وكل ما هو جديد خاص بالمسابقة.

يتم الاشتراك وتسجيل الأسماء في مجمع التوحيد بمدينة بلبيس مع تسلم نسخة ورقية من المقررات، أو عن طريق التسجيل الإلكتروني من خلال ملء بيانات رابط الاشتراك المعلن في صفحة المسابقة على الفيس.

وفي يوم الامتحان: يتم ملء استمارة «بيانات المتسابق» كاملة للتواصل معه.

للتسجيل والتواصل مع لجنة المسابقة وتلقي الاستفسارات: صفحة المسابقة:
facebook.com/SafwatNourAlden
صفحة مجمع التوحيد: facebook.com/MasjedAltawhed
الموقع الرسمي للمجمع: www.altawhed.net

خدمة العملاء
01284447778
01128911113

(+2) 01067717725

Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

قلعة صناعة التمور فى مصر